كلمة المسار

في ثقافة المتوسط



د. صلاح الدين بوجاه

تتجه بلادنا، بكل قوة وثبات، نحو تأكيد انتمائها إلى فضاء المتوسط الغربي، ولا نشك في أنّ هذا البعد يكاد يكون في مستوى البعد العربي الذي يغذّي جذورنا بنسغه ويروي دوحة ثقافتنا برموزه الكيانية الأصيلة.

فالمتوسط هو الأسطورة الكبرى التي فتنت رجال السياسة والقادة العسكريين والأئمة والأساقفة والشعراء، فتغنوا بها وأولوها عناية استثنائية، هي عنايتهم بالمكان، تلك التي لا تبدو منفصلة عن عنايتهم بالزمان.

فرناند برودال، ابريد راق ماتفيجيفتش، الحسن الوزان [ليون الإفريقي]، ابن خلدون... كل هؤلاء وغيرهم قد تمسكوا بدلالات المتوسط ورموزه... فبدا مركزا للتاريخ ومعبراً لا محيد عنه للجغرافيا، على ضفافه أعاد سرفنتيس تخييل الحضارة في شكل قصصي بعد ان استحضر سندباد ألف ليلة وليلة عبر شخصية «دون كيشوط».

حدث هذا تحت إمرة هذا القائد أو ذاك، كما تم بإشراف هذه الدولة من الجنوب، أو تلك من الشمال، لكنه أسهم في حالاته جميعا في الكثير من التهجين الايجابي للأعراق والثقافات والعقائد والأفكار. لهذا كان المتوسط عبر تاريخه الطويل عامل اعتدال ووسطية ووفاق !

ضمن هذا الجدل الايجابي حول دواعي التقارب تبدو العلاقات حول المتوسط موسومة بالعمق والشمول، فهي قائمة على التوافق والاعتدال والتعاون.

تأكد هذا خلال العقدين الأخيرين، لكنه قد لبث ذا جذور عميقة منذ القديم، ثم تطور في العصر الوسيط، قبل أن يتلقّى تتويجه النهائي في السنوات الأخيرة.

فالتقاليد التونسية العريقة، ذات الطابع المتوسطي، لا تتنافى مع الوسطية والاعتدال والتسامح، لهذا فإن الأدباء والمثقفين التونسيين جادون في مواصلة الاسهام في المشروع السياسي والاجتماعي الثقافي المتكامل الذي يواصل تمكين البلاد من التوازن الداخلي، ومزيد الانسجام الخارجي، ضمن شبكة العلاقات مع البلدان القريبة.

انجـــازات ثقافية رائدة

من القرارات المعلنة في خطاب الرئيس زين العابدين بن علي بمناسبة الذكرى العشرين للتحول في « القطاع الثقافي »

☐ احداث مجلس أعلى للثقافة يتركب من شخصيات بارزة من مختلف حقول الثقافة والفن والابداع يسهم في بلورة الأفكار والتصورات التي تساعد على تطوير هذه القطاعات وتعزيز اشعاع تونس في الخارج.

☐ الغاء الرقابة الإدارية على الكتب والمنشورات والاعمال الفنية عند الايداع القانوني وجعل الرقابة واصدار قرارات المنع من النشر من أنظار القضاء وحده مع الحفاظ على الايداع من أجل صيانة الذاكرة الوطنية واستمرار تغذية المكتبة الوطنية بكل ما ينشر في تونس.

☐ الاذن بتخصيص مجهود هام انطلاقا من نهاية هذا العام للارتقاء بمختلف الفضاءات الثقافية في المدن والقرى والأحياء الشعبية وتحسين أداء دور الثقافة باعطاء الأولوية لتأهيلها وصيانتها وتطوير برامجها وتدعيم تجهيزاتها وإطارها البشري.

☐ الترفيع في الاعتمادات المخصصة للصيانة والتعهد والتجهيز بنسبة 10 بالمائة سنويا وبرمجة انتدابات جديدة لخمسمائة من اطارات التسيير والتنشيط والتقنيين والعملة.

☐ الإذن بوضع اتفاقيات شراكة بين دور الثقافة وبين المؤسسات التربوية والجامعية والجمعيات والهياكل المحلية المختلفة وتفعيل دور المبدعين والمثقفين في كل جهات الجمهورية في تنشيطها وتأطير روادها.

الحدث الثقافي

الاتحاد العام للأدباء والكتّاب العرب

اجتماع المكتب الدائم بالمنامة (مملكة البحرين)

ديسمبر 2007

توطئة

بقلم : صلاح الدين الحمادي

انعقدت بالمنامة (مملكة البحرين) من 2 إلى 5 ديسمبر 2007 اجتماعات المكتب الدائم للاتحاد العام للأدباء والكتّاب العرب. وقد مثّل اتحاد الكتّاب التونسيين في هذه الاجتماعات الشاعر صلاح الدين الحمادي الكاتب العام للاتحاد إلى جانب الروائي ابراهيم درغوثي نائب رئيس الإتحاد الذي شغل منصب النائب الثاني للأمين العام للإتحاد العام للأدباء والكتّاب العرب. كما كان للوفد حضور متميّز في الندوة التي انعقدت بالمنامة حول الأدب البحريني وفي الأمسيات الشعرية التي نظمت بالتوازي مع هذه الندوة.

وفد الإتحاد كان له لقاء بعضو اتحاد الكتّاب التونسيين المقيم بالبحرين الأستاذ صابر الحباشة كما عقد الوفد على هامش اجتماعات المكتب الدائم اتفاقية تعاون مع اتحاد الكتّاب والصحفيين الفلسطينيين. يذكر أن الاجتماع القادم للمكتب الدائم للاتحاد العام للأدباء والكتّاب العرب سينعقد بتونس في أواخر شهر ماي 2008 وستنظم بالتوازي معه ندوة عربية حول الترجمة بمناسبة اعلان سنة 2008 سنة وطنية للترجمة.

وندرج ضمن هذا الملف البيان الختامي للاتحاد العام للأدباء والكتّاب العرب الى جانب تقرير الحريات في الوطن العربي الصادر عن اجتماع المكتب الدائم.

وبذلك تحصل للقارىء فكرة شاملة عن الاجتماع الملتئم في مملكة البحرين.

بيان الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب

مملكة البحرين / 2 ـ 5 كانون أول . ديسمبر 2007

ـ البيان الختامي ـ

اجتمع المكتب الدائم للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب بمدينة المنامة بمملكة البحرين في الفترة من 2 إلى 5 ديسمبر 2007، وتدارس المجتمعون الأوضاع المحيطة بهم في هذه المرحلة المصيرية من تاريخ أمتهم، ورأوا أن ما يخططه أعداء هذه الأمة، سواء في الداخل أو في الخارج يمثل خطرا داهما يجب التنبيه عليه، والتحذير منه، قبل أن يزداد الواقعترديا، ويصير المستقبل محفوفا بالمخاطر.

إن المحاولات الإمبريالية والصهيونية الدائمة، باشكالها المخالفة، وآخرها مؤتمر أنابوليس، التي تهدف للحصول على المزيد من التنازلات العربية والدافعة نحو التطبيع مع العدو الصهيوني، يجب ألا تحقق أغراضها، ذلك أنها محاولات مكشوفة، وليست جديدة، يجب أن ننتبه للهدف منها، وألا ننساق لها حفاظا على الحقوق العربية، التي لن تعود إلا بالمقاومة.

ويؤكد المجتمعون ضرورة تمسك الأخوة الفلسطينيين بالوحدة الوطنية، المستندة إلى الثوابت الوطنية والقومية، وإنهاء الانقسام والكف عن رفع السلاح في وجه إخوانهم. وأن يلتزموا بالحوار سبيلا لإنهاء خلافاتهم، لأن ما يحدث الآن لا يفيد أحدا بل انّ المستفيد الوحيد منه هو الكيان الصهيوني.

ويؤكد الأعضاء على ضرورة رفع الحصار المضروب على غزة، والكف عن تجويع الشعب الفلسطيني، والتنكيل به.

يدين الأدباء والكتاب العرب، باسم كل العرب، الاحتلال الأمريكي البريطاني للعراق، ويرفضون أي تدخل خارجي بشؤونهم، ويناشدون إخوانهم العراقيين، نبذ الطائفية والمذهبية، والحفاظ على وحدة التراب العراقي، وحشد الطاقات العراقية لمقاومة المحتل، بدلا من إسالة الدم وإزهاق الأرواح العربية بالأيدي العربية.

إننا نثق بأن شعب العراق قادر على تخطي المحن، ونتطلع إلى أن يعود سريعا لحضن أمته العربية قويا كعهدنا به، شامخا كما عرفه التاريخ.

ويبارك الأدباء والكتاب العرب اتفاق كل الأشقاء في لبنان على جمع الشمل والعودة إلى وحدة الصف، ويحيون المقاومة اللبنانية الوطنية الباسلة، ويطالبون بالحفاظ عليها.

ويدين الأدباء والكتاب بكل قوة الاعتداء الإسرائيلي الذي تم على الأرض السورية، كما يدينون الضغوط المتوالية على سورية للنيل

من صلابة موقفها.

ويرى الأدباء والكتاب العرب المجتمعون في المنامة أن دارفور قضية سودانية خالصة، ويدينون أي تدخل خارجي إلى تقسيم السودان، والمساس بوحدة شعبه وأراضيه، مشددين على أن حل هذه القضية لابد أن يكون في إطاره العربي والافريقي.

ويناشد الأدباء والكتاب العرب الأشقاء الصوماليين أن يتخلوا عن الصراع المسلح، ويلتزموا بالحوار البناء، من أجل مصلحة وطنهم. كما يدينون التدخل الأجنبي في الصومال، ويؤكدون أن التدخل الأجنبي أثبت فشله دائما، وأنه لا بديل عن الحل الوطني.

ويتفق الجميع على أنّه من حق الدول جميعا توظيف الطاقة النووية للأغراض السلمية، ويطالبون بإخلاء الشرق الأوسط من الأسلحة النووية، حفاظا على أمن المنطقة وسلامتها.

ويحيي أعضاء الاتحاد مبادرة المكتب الدائم للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب بأن تكون الأمانة العامة مرصدا للحريات في الوطن العربي، ويؤمنون بأن الحرية حق لكل إنسان، وحرية التفكير والتعبير حق لكل كاتب، ويطالبون الحكومات العربية بالإفراج عن سجناء الرأي، وعن الكتب المصادرة، والغاء الرقابة القبلية على كل أشكال الإبداع.

ويدعو المكتب الدائم الكتاب العرب إلى دعم ثقافة المقاومة ونشرها، باعتبارها السبيل لحل القضايا العربية، واسترداد الحقوق المشروعة.

كما يهيب المجتمعون بأصحاب الأقلام العربية أن تظل ثقافة الوحدة هدفا يسعون إلى تحقيقه، عاملين على تعزيز التجارب الوحدوية القائمة، والتصدي لثقافة التقسيم والانفصال.

وينظر الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب بعين القلق إلى حالة اللغة العربية، ويرون ضرورة الارتقاء بها، وإصلاح أحوالها، خصوصا في مناهج التعليم، ووسائل الإعلام والإعلان، لأن اللغة تمثل ركنا ركينا للهوية التي يجب أن نحافظ عليها، في جو يسعى للعولمة والأمركة ومحو الهويات.

ويطالب الأدباء والكتاب العرب الحكومات العربية بالإعفاء الجمركي المفروض على الكتب بين الدول العربية، وإلغاء رسوم تعوق الكتاب بين دول الوطن الواحد، وخفض أسعار نقل المطبوعات. كما يتوجهون إلى جامعة الدول العربية لمساندة هذه المطالب تحقيقا لوحدة الثقافة العربية. واللّه الموفق

الأمين العام

للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب

محمد سلماوي

الحريات في الوطن العربي

صادر عن المكتب الدائم للاتحاد العام للأدباء والكتّاب العرب

البحرين (2 ـ 5 كانون أول : ديسمبر 2007)

بالرغم من تعدّد مراصد حقوق الإنسان وتطورها، خلال العقدين الأخيرين، وكثرة الحديث عن أهمية هذا الموضوع وضرورة مراعاة المعايير الدولية المفترضة في هذا المجال، فلا يزال تقدم حقوق الإنسان يسير بصورة سلحفائية في الوطن العربي.

وحيث ان الكتّاب والأدباء هم أكثر الفئات تأثرا بتطور مستوى حقوق الإنسان ـ أو تراجعه ـ وفي مقدمتها حريّة الفكر والتعبير، فقد رأى المكتب الدائم للاتحاد العام للأدباء والكتّاب العرب في اجتماعه السابق في حزيران (يونيو) 2007 في مدينة العريش أنَ من واجبه التدقيق بصورة منهجية في أوضاع حرية الفكر والتعبير والنشر في البلدان العربية المختلفة، وبناء عليه فقد قرّر إصدار تقرير دوري عن حال الحريات في الوطن العربي بجميع تطوراتها، وعهد إلى كلّ اتحاد قطري بأن يكون بمنزلة مرصد لتسجيل كلّ أشكال انتهاك الحريات في بلده وأن يقدم تقريرا عنها للمكتب الدائم الذي يتوجب عليه أن يقوم بإعداد تقرير عام من مجمل هذه التقارير ليصدر عن الأمانة العامة للأدباء والكتّاب العرب. وهذه مهمة جليلة وضرورية، وإذا أردنا أن نحافظ على كونها كذلك، فإنّ هذا يتطلب منا جميعا أن نتعامل معها بدرجة كبيرة من الصدق والشجاعة والجرأة والشفافية، وهذا يعتمد على مدى تعاون الاتحادات والروابط والأسر الأدبية العربية المنضوية في صفوف الاتحاد العام.

إننا نطمح إلى أن يتحول الاتحاد العام إلى مرجع مهم لأوضاع الحريات في الوطن العربي، مشهود له بالصدق والحرفية، ويحسب لتقاريره الدورية، لذلك فإننا نأمل من الاتحادات والروابط والأسر الأعضاء أن تتقدم للمكتب الدائم كل ستة أشهر بتقارير عالية الدقّة تراعى فيها الأصول المنهجية الضرورية، فترصد تفاصيل الوقائع الفعلية لانتهاك الحريات في بلدانها وأشكال تقييدها وكبتها والتجاوز عليها.

وفيما يلي نقدم تقريرنا الأول حول الحريات في الوطن العربي الصادر عن اجتماع المكتب الدائم للاتحاد العام للأدباء والكتّاب العرب في البحرين في كانون الأول . ديسمبر 2007، المستخلص من مجمل التقارير الواردة من الاتحادات العربية. ولكن تجدر الإشارة إلى أن عددا من الاتحادات العربية لم يتقدم بالتقارير المطلوبة ولم تكن جميع التقارير التي قدمت وافية، بيد أن ما ورد إلى الأمانة العامة كان

كافيا لتحديد الاتجاهات السائدة في انتهاك الحريّات بالوطن العربي.

وضع حرية الفكر والتعبير في العالم العربي في العام 2007

تسلّم المكتب الدائم للاتحاد العام للأدباء والكتّاب العرب بعض التقارير من عدد من الاتحادات والأسر والروابط الأعضاء، وبالاستناد إلى مجمل التقارير الواردة، وإلى المتابعات والمعلومات المتوفرة لدى أعضاء المكتب، نجمل وضع الحريات في البلدان العربية المختلفة في ما يلي :

يبدي الاتحاد العام للأدباء والكتّاب العرب قلقه وتوجسه من انتشار حالات انتهاك حرية الفكر والتعبير والنشر في الوطن العربي، فرغم التقدم الواضح على صعيد الوعي والحديث عنها وتشكيل الهيئات والمراكز المهتمة بها في العديد من البلدان العربية، وعلى صعيد تطوير التشريعات المتعلقة بالحريات في بعض هذه البلدان، فإننا نجد في الوقت نفسه أن الحريّات - وخصوصا حريّة التعبير - لا تزال تعاني عددا من الموانع والمعيقات والسلبيات والاستهدافات الناجمة عن ممارسة وتوجهات ومواقف السلطات العربية وبعض المؤسسات المتنفذة وقوى الاحتلال الأجنبي وهيمنة المصالح الاقتصادية الخاصة على الإعلام ودور النشر ووسائل التعبير بمختلف أشكالها.

وفي هذا السياق نشير الى الانتهاكات الآتية التي تتكرر في عدد من بلدان وطننا العربي :

1 - حبس كتّاب ومثقفين وصحفيّين في أكثر من بلد عربي بسبب ما كتبوه وليس ما ارتكبوه.

2 - حجب، أو إلغاء، ترخيص أكثر من صحيفة أو وسيلة إعلام.

3 - وضع قيود تشريعية على حريّة التعبير.

4 - حظر كتب للعديد من الكتّاب العرب.

5 - ممارسة الرقابة بمستويات مختلفة على وسائل التعبير المختلفة.

6 - مقاضاة العديد من دور النشر العربية بتهمة مخالفة قوانين المطبوعات، لبيعها بعض الكتب التي اعتبرت من قبل السلطات محظورة ومخالفة للقوانين.

7 - اعتداء رجال الأمن، بالشتم والضرب، على الكتّاب والمثقفين والصحفيين الذين يغطون فعاليات سياسية معارضة.

8 - لا تزال اجراءات ترخيص وسائل الإعلام والتعبير والنشر مشدّدة ومعقّدة بمستويات مختلفة في جميع أنحاء العالم العربي.

9 - هناك مراقبة ومحاسبة بمستويات مختلفة في الدول العربية لاستخدام شبكة الانترنات. وقد تمّت مقاضاة وحبس بعض مستخدمي تلك الشبكة لتعبيرهم عن آراء معارضة لبعض الحكومات، كما تجدر الإشارة إلى أن إمكانية استخدام الانترنات لا تزال محدودة في معظم البلاد العربية، قياسا بالعالم المتقدم، بسبب

الكلفة المالية المبالغ فيها ، وبسبب الرقابة والقيود في بعض هذه البلدان.

10 ـ لا تزال بعض البلدان العربية تفتقر للجمعيات والهيئات الممثلة للكتّاب والمثقفين والإعلاميين، ما ينتقص من حقهم في الدفاع عن أنفسهم وحماية حقوقهم الفكرية والمالية.

11 ـ لا تزال الحقوق الفكرية والمالية للكتّاب العرب مهضومة من قبل أصحاب دور النشر والمؤسسات الحكومية وأجهزة الإعلام في مختلف أنحاء الوطن العربي، الأمر الذي يحد من قدرتهم على نشر نتاجاتهم الفكرية والإبداعية والاستفادة من ثمار جدّهم واجتهادهم وتعبهم.

12 ـ لا تزال حريّة التظاهر والتجمع والاحتجاج مقيّدة، أو محظورة، بمستويات مختلفة، في معظم الدول العربية.

13 ـ كانت قمة الانتهاكات التي تعرضت لها حرية الفكر والتعبير ما تعرض ويتعرض له الكتّاب والمثقفون والصحفيون من استهداف واعتقال واغتيال على يد الاحتلال الأمريكي في العراق والاحتلال الصهيوني في فلسطين.

14 ـ كما رصد الاتحاد العام للأدباء والكتّاب العرب تصاعدا لنفوذ الاتجاهات المتشددة المتشحة بالدين والمقرونة بالإرهاب، وتمكنها من فرض رقابة إضافية على حرية الفكر والتعبير والنشر في مختلف أرجاء الوطن العربي.

وبعد، فإن الاتحاد العام ـ وهو يصدر تقريره الأول ـ يؤكد على أنه لا شرط على الحرية إلا المزيد منها... ويعلن عن تحركه الفوري للتصدي لأي اعتداء على الحرية في أي مكان من الوطن العربي، ويعد بأنه سيسعى للحيلولة دون التعرض لأي رأي أو قلم أو كلمة، وأنه سيتصدى لحماية أعضائه من الكتّاب والأدباء والمثقفين، مناديا بضرورة إلغاء القوانين الضاغطة على الحريات لخلق فضاء مفتوح يليق بالإبداع والخلق والثقافة في وطننا العربي.

قصّة

بركان في دماغ أنثى

قصة بقلم : منذر بن محمد الطيب بوجاه

«انه يعير نفسه أهمية أكبر من حدها..! يمشي متبخترا مشرئب الرأس كأني بطاووس لا ببشر أمامي، أما إذا رنّ هاتفه الجوال فيسحبه من جيبه بحركة خاطفة توحي بأنها مكالمة مهمة يتلقاها مسؤول مهم... هذه هي مشكلته هذا الأصلع الرأس نسبيا، الذهبي الشعرات..!»

كانت يومها متوترة الأعصاب لمشكلة اعترضت طريقها خالت أنها حلّت. دخلت المكتب فإذا بها تجد قبالة بابه هيكلا جالسا على كرسي... وكان هذا صاحبنا سالف الذكر.. نظّارات سميكة موضوعة على عينين تطل منهما نظرات ماكرة رغم تظاهرهما بالأدب والوداعة اللتين لم تخدعاها خاصة عندما سمعت نبرات صوته الواثقة ترد عليها السلام... جذبت كرسي مكتبها وجلست والقلق يملأ عينيها وهي تتقّد غضبا وغيضا متخلية بذلك عن الأنوثة التي تتّسم باللطف والرقة... انطلق فجأة من بلعومه صوت لم تفهم كنهه، وهمّ واقفا إذ دعته ساعة انتهاء الحصة الصباحية للمغادرة.

مرّت الأيام مكونة صداقة حسبتها بينها وبين زميلها الجديد.. كانت تنصت اليه وهو يروي لها بطولاته في سالف تنقلاته بين ربوع البلاد بحكم عمله.. كانت تتظاهر بالإصغاء اليه متفاعلة بيد أنّها في الحقيقة تتأمّل قسماته القاسية تتفحصها وتقرأها تستدل على خفايا هذه الشخصية. فجأة، ارتسمت على شفتيها ابتسامة وقد عادت بها ذاكرتها إلى ذلك اليوم، إذ كانت جالسة ذات صبح بكافيتريا (منذر) مع إحدي رفيقاتها، وثالثهما الحديث المعتاد : الموضة وتسريحات الشعر... رنّ هاتف صديقتها فالتقطته صاحبته وشرعت متحدثة، ثم ختمت مكالمتها قائلة : «مرحبا بك يا أخي.. إلى اللقاء». سألتها بحركة من رأسها عن مخاطبها فانفجرت الأخرى ضاحكة مجيبة : «إنّه أحد أصدقائي تقدم بمطلب نقلة إلى مقر عملنا له صولات وجولات في المكان الذي تركه».

ازدادت ابتسامتها اتساعا وهي تحدّق منصة زميلها الجديد المزيّف بصلعته التي تقطر نفاقا وهذه المرة أفسحت النظّارات المجال لعينيه . بات من الواضح أن علاقة سوار بهذا الرجل صارت وطيدة رغم نفورها منه في بداية هرولاته وراءها طلبا لرضاها، وإن تطلب منه ذلك جسارة وصلابة يصعب اتيانهما. أجل ذلك ما يجعلها لا تدخر جهدا في الوقوف أمام صورة زفافهما المعلقة على الجدار ، تلك الصلابة والقسوة في الملامح وهي الآن تدقق النظر واضعة يدها على بطنها الحامل بولدها المنتظر وقد قررت وزوجها أنيطلقا عليه إسم منذر مثل إسم صاحب الكافيتيريا التيشهدت لقاءاتهما اللذيذة الممتعة...

ر

قصة بقلم : رفقي بدوي

« ر » رفقي.

ولما أقسم أن يسميني وأنا في رحم أمي «سهام» جئت طفلا، فصفع وجه أمي، واسماني «رفقي».

كان الحب قد استكن في قلبه لمطربة شابة «سهام رفقى» فصبر صبرا طويلا، فأسكنت عصياني له وحبي لأمي، ورددت له الصفعة حين أسميتها «رضوى».

* * *

« ر » .. رضوى.

ذاتي وعين صفاتي، لوني وتقاطيعي، أود أن لا أدعها تخرج من حضني، أقسو عليها خوفا من أن تصير نسخة مني، وأنا قد استريح لكل الناس، ولا راحة لي مع نفسي، وتمتلىء حبا وأمتلىء بها حنانا، لكن قلبانا أشد من الحجارة قسوة، خشية التصريح أو التلميح، فنتباعد، ونتعاند، ونتصافى ونتوادد، فاراني فيها وتراها فيّ فارتعد خوفا من أن تصل إلى ما وصلت اليه.

* * *

« ر » رضا.

كل شيء يدعوني للرضا، قدمان مبتورتان محمولتان على طرفين صناعيين، أشعر بهما وأنا أقطع المسافة بين المسافتين، أطير بهما مصمما على أن أعوض عجز الحركة بالقفز فوق المدى.

الزمن حركة الكائن في المكان، وأنا أقبض على المكان في قبضتي، أرجه بشدة، فتتخبط كائناته في حركاتها، فيخرج عليهم زمان يمتلك مقادير أموره الشواذ، فلا تلك الأرجل التي تتحرك وتقف على الأرض بثبات، ولا تلك الأيدي القوية التي لم تبتر بعد، تحركت وقاومت لمنلك مقاديرها، ولا أنا بتارك المكان من قبضتي حتى يفيق ساكنوه فيشملني الرضا.

* * *

« ر » رغبة.

ليست رغبة واحدة، بل رغبات ورغبات.. كلها مقبورة في مقبرة التأرجح بين الفعل ونقيضه، فلم تتحقق لي رغبة واحدة.

* * *

« ر » رجفة.

أشاهدها في أعين وأبدان أكابر الناس وأصاغرهم، أشاهدها في عيون الأطفال والكبار، أراها تنفض السادة العبيد للسيد العبد، تنفضهم نفضا، لكنها لم تصبني أبدا إلا عندما كشفت الملاءة عن وجه شقيقي، وقبلتها قبل أن يقمن بغُسلها.

دهاليز الروح المنشطرة

قصة بقلم : الصحبي العلوي

داخل قفص سيارة مهملة ملقاة في مقبرة الخردة على حافة مجردة، يتبادل خلان التعاسة والحرمان الأحاديث على إيقاعات الصيف الذابلة. منذر يلوك قصة انتظار بطاقة زيارة وعد بها ابن خاله رمضان بعدما استقر في بلاد اليونان.

- لو وصلتني البطاقة لجمعت ثمن الرحلة والعملة المحوّلة في أقرب وقت لأن أمي تخبىء لي مبلغا وخالتي وعدتني كما وعدني بعض الأحباب.

قاطعه أحد الخلان :

- لن يرسل لك رمضان إلاّ الأحلام والأوهام لأن من دخل الجنة هناك لا يرغب أن يطأها أبناء جلدته.

أردف آخرون :

- دعونا من الخيال ولنفكر في اصطياد بنات فرنسا وأوروبا عامة في الطريق عندما تتوقف قافلاتهن للراحة، نحادثهن ونضحكهن فلربّما يقبلن بنا أصدقاء.

صاح من بينهم صائح :

- وقت الفلم قرب ولابدّ من تدبير الدريهمات لاقتناء تذاكر الدخول لقد قيل لي إنه من أروع أفلام «جيمس بوند 2007».

وقف الجميع وبدأوا يخوضون في مقاييس اختيار الأفلام، وأسرار اختيار المقاعد في صالون العرض الوحيد ويتنافسون في ذكر بطولاتهم آناء الفرجة عندما يتعثر الشريط المعروض أو عندما تنار القاعة بحثا عن مدخن قد يتسبب في كارثة، هذا يصفّر والآخر يصرخ وذاك يرسل أصوات حيوانية أو بدائية. وما هي إلا ساعة حتى كان هذا النفر من الشبان يستنفذ كل حيله في تحصيل ثمن التذاكر من أمهاتهم وجداتهم وأصحابهم.

***

تناهى إلى كل البيوت خبر وصول بطاقة الزيارة لمنذر من ابن خاله رمضان، وتحدث أهل الحارة عن قيم الرجولة والشهامة وعدّد الجميع خصال رمضان منذ ولدته أمه. هنّأ الخلان صاحبهم وعرضوا عليه خدماتهم كلّ حسب طاقته ثم انفرد كل واحد بمنذر يشرح العلاقة الصادقة التي تربطه به محذّرا إياه من نفاق الآخرين. زوّده جميعهم بعناوينهم راجين أن يسير فيهم سيرة ابن خاله رمضان وأن يبعث لهم ببطاقات زيارة حتى ينتقلوا مثله من عيشهم النكد إلى نعيم الحياة في البلاد الأوروبية حتى وإن كانت اليونان التي لا يعدها أغلب الطامحين جزءا من أوروبا.

سافر منذر وتكدست النسوة في حوش والدته

يواسينها ويخففن عنها وحشة الفراق وعذابات الغربة التي دقت طبولها منذ ساعات الفجر الأولى.

بدّد صراخ أحد الصبية : «رسالة... رسالة... رسالة...» ما علا وجه الأم من الوان الكآبة والخوف وشقت سحنتها ابتسامة ملأها اهتزاز صدرها وتجنيح روحها ضياء وطمأنينة. تنادى القراء وأظهروا أحدث ما عندهم من علوم الفك والفهم والشرح واتفقوا في كون منذر تغمده اللّه برحمته ورزقه من حيث لا يحتسب امرأة يونانية وأنه سيعقد عليها القران بعد أسبوع وعليه فإن عائلة منذر سوف تطلق الفقر وستكون والدته من أعيان الحي.

***

قالت الأم محدثة زوارها من بعد عودة منذر للمرة السادسة : «إنّ ولدي يفكر في الزواج من امرأة عربية كان يلتقي بها كلما عاد من غربته». خاصّة وأنه صرح لها بأن قرينته في بلاد اليونان لا تستطيع المجيء معه إلى أهله ويتغذر عليها ذلك لكثرة انشغالاتها.

لم تكن تبدو على منذر أثناء عودته من عام لآخر آثار الارتياح بل إنه يتراءى مهموما منزعجا مخلدا للرار داخل أكوام من الضحكات المختنقة التي لا ترتفع معها أية نبرة لحرارة الحياة الآدمية.

دخل منذر المطعم وطلب أكلة شعبية وفيما هو يستعد للأكل دخل شرطيّ سائلا :

- من منكم منذر ؟

- أنا منذر.. ما الأمر ؟

- إنهض واتبعني.. لا وقت لديك.

نهض منذر تاركا صاحب المطعم يسبح في أمواج من التعجب والسخط. أردفه الشرطيّ على عجلته النارية ونط به في معابر المدينة حتى وصل حيهم... توقف أمام منزلهم وصاح به :

- أسرع غيّر هندامك وأحمل جوازك واتبعني

خرجت الأم لاهثة حائرة فقال لها الشرطي : لقد توفيت زوجته في اليونان. سكتت الأم أولا ثم استرجعت وأضافت «آللّه أكبر» وتوارت داخل حوشها.

كاد منذر يتهاوى من زلازل الضحك التي انفجرت في كيانه عندما أعلمته أمّه أن زوجته الرومية قضت نحبها. كانت تبسمل وتحوقل وتستلطف محاولة تهدئة ابنها الذي استمرت معه حملة الضحك والشهقات والقهقهات والإنحناء حوفا على تمزق أحشائه...

***

عندما أقبل الممرض ليحقنه حقنات مهدئة كعادته كان منذر هائما. لا تقع بنات وعيه على صورة إلا وأفسدت تضاريسها أنواء النفس الملتهبة ببرد الجيران ووخز الإبر... حاصر الصورة ملايين المحاولات ولكن البدلات البيض ومفاتيح الأقفاص وصليل الأقراص في الحقق والوان الصمت الزاحف مع عجلات القطارات الهرمة تمتد أعناقها من محطة

الأولمبيا... هناك... إلى محطة الرازي.. هنا... كلها تأبى عليه أن يرسم بريشة دماغه المعدل كيميائيا ملامح الليلة الأولى مع هرمين عندما رضي الزواج منها ثمنا للإقامة القانونية التي تضمنها بطاقة صغيرة يحملها في جيبه أثناء الليل وأطراف النهار.

غادر الممرض غرفة منذر وتركه يتلوّى فوق فراشه ويده تتفقد آثار الحقنة ولسانه يطارد ترانيم منسية تنسكب من أروقة ذاكرة مهدمة.

ـ طيـارة طيـري.. طيـري..

ـ آه يمّا.. عدينا شوق عدينا.. أي دمعة حزن لا لا لا.

ـ تقلب على فراشه بحثا عن وضع ينسيه آلام الوخز ولكن لسانه استمر يدندن :

ـ ...الخـريف وهـبّـت الريّاح واصفرّت الأوراق.. واصفرّ كورس من جوع محياها... لقيتها يا ليتني ما كنت ألقاها.. يا جنات ابكي معايا وسقطي الدمعات..

ـ الفرس الأمين.. الفـ... ر.. ر...س الـ.. أ... مـ... ـيـ.. ـن...

حاول اقتلاع باقي النص من الذاكرة.. وقف مترنحا، اتكأ على الجدار ثم صاح : بين قبيلتين من العرب تأججت نيرانها.. أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم..«إذا الشّمس كوّرت وإذا النجوم انكدرت».

ـ انـــركـ.. ـو.. ـنـي.. اتـــركـــونـــي.. أخرجـوني.. أخرجـــونــــي..

لملم سراويله ثم دلف إلى البهو، رأى سارة المقيمة في المستشفى إقامة دائمة فناداها :

ـ سارة... سارة... donne moi cigarette

سارة تنظر إليه ولا تنفعل، السيجارة في فمها ترسم أمام وجهها الحزين شبكة من المعاني المهرّبة من مجرّات فانية.

تقدم منها وانتشل السيجارة من فمها ثم انسحب إلى زاوية البصر يقف وراء بلور النافذة لعله يقتلع بأنس السيجارة.. مشاهد الحـيـاة المنبـعثة مـن حـدائـق المستـشفى الـقـديـمـة.

اقتربت منه سارة وطرقت على ظهره طرقات عنيفة وقالت : argent... argent... cigarette .

استدار منذر بوحشية ودفع سارة وأرسل صرخة تناثرت لها البدلات البيض في كل أروقة المعسكر :

ـ يكفي.. يكفي.. ارتاح.. ارتاح..

كانت أيدي (هرمين) تقبض قبضات الموت على عنقه وصدره، وتضاريس وجهها التي صدئت لتنعكس السبعين خريفا، تلدغ لحمه المشويّ فوق جسم «هرمين» المقعدة تمتص بخراطيمها اليابسة غضارة الشرقيّ المذبوح بمدية الجنة الباردة. حاول التنصل من الكابوس الأخطبوطي ولكنّ رتيلاء الثلج تحولت إلى عنكبوت ضخم يتدحرج من السرير إلى الأسفل يتوسل اليه أن يكمل السهرة في نعيم جسمه الغضّ.. آه الوحل يغمرني، العقارب والسلاحف البرية.، ديدان الأرض تأكل من جسمي... النمل... الفراشات

السوداء.. آه النحل... الذباب الأزرق فوق عيني،، في حلقي علق أصفر.. الحيّات الشهباء تضغط على صدري، قنفد يتمرّغ على شفتيّ، الإبر تصطدم بعظامي.. القراد يزحف على أذنيّ.. آه الوحل الأبيض ينبعث من شفاه لزجة بحوامض العقاقير... الخفافيش تسدّ جميع المنافذ.. الفجر بعيد وبعيد...

***

انتهت مراسم الدفن واستقبل منذر اليوم الثالث ولم يصح بعد من فحيح الأشباح تقضّ مضاجعه. دخل مكتب المحامي السيد إيليا ريمانوس نظر إلى الأوراق مكدّسة على الطاولة.. كلمات ريمانوس.. لم أنس إسمه.. تتكرر تلك الكلمات.. قرع طبول عملاقة في أقصى حواسي الخمس.. «لقد أوصت الفقيدة «هرمين» بأن تكون أنت وريثها الوحيد».. القرع يشتدّ والخراطيم تضيق على الأنفاس.. «فلك أسهم الشركات وودائع عائلة هرمين وأرصدتها».. الوحل يغمره ضباب أنفاس حارّة يقذفها منذر من دهاليز روحه المنشطرة.. لا يزال الضحك يمتدّ من هدير طائرات مطار أثينا إلى الزّاوية وراء نافذة الرازي.. تترنح حوامض الصّور تتلاطم الأشرطة.. قفص السيارة لا يزال يستقبل روادا من طراز جديد والأخبار تلف شوارع المدينة يغمرها طمي العصور الفائتة وحشرجات مجردة يتجشأ هوسا حزينا يجترّ لوثته.

جواز للحب والعيش

قصة بقلم : عبد اللّه الخلايفي

... وتبقى الدمعة المغلفة بالغضب تملأ عينيك.. ويحتل الديناميت في أليافك لا يستطيع الانفجار، بللته شلالات القمع والقهر، فيصبح حملا ثقيلا يهد أعصابك الريفية، تجاوزته ساعة الصفر فصدئت أزندته، صادروا حقك في الحب والحقد. باعوا هويتك في المزاد العلني ولم يبق للوجود طعم في فمك سوى طعم باهت يسد حلقك وخياشيمك، هزموا فيك حتى الانهزام. بايجاز قالوا لك بعد تكشيرة مقيتة : لا حق لك في الحياة...

ستمتد كل ليلة على فراشك القذر وسط ضجيج القلق وهجمات البق الشرسة وستجتر ما مضى.

لكن هذا لن ينفعك. عواطفك ستبقى دائما تتدلى مشنوقة كجذع شجرة مسن يحمله دفق الوادي لا يورق ولا يصلح للايقاد.

قالت أمك وأنت تغادر الريف الى العاصمة لتصبح طالبا جامعيا :

- «أنا أعرف ابني.. لما كنت اتوحم كنت انظر الى صورة أبي زيد الهلالي سلامة.. ولما كبر رسمت له الوشم المميز على جبينه والسيف الطويل على زنده لتكتمل الصورة.. أنا أعرف ابني ولا خوف عليه.. لن أوصيه ولن أنصحه..».

وعندما وضعت شفتيها على وجنتيك المحروقتين كخبزة عربية هممت : «وداعا يا بوزيد».

أبوك كان يرهق حبات المسبحة في صمت، وعندما انحنى عليك لأنك كنت قصير القامة، كاد يهد كتفيك. وملأت انفك رائحة السجاد القديم الذي كان يستعمله حين يصلي. قال لك بصوته المعتاد :

- «وددت لو تكون مثلي.. لو تكون أنا. أتعرف أني كنت اشتاق لرؤيتك مؤدبا أو شيخ علم إنّ الدين في حاجة إلى أمثالك. أردتك عالما جليلا يشرح ألفية بن مالك ويهز الناس بترتيل القرآن ولكنهم ملأوا رأسك بتفاهاتهم... الملاعين.. سيكون حسابهم عسيرا. ولكن اللّه غفور رحيم».

ثم تلا بصوت جهوري : «إذا جاء نصر اللّه والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين اللّه أفواجا...» وطلب منك أن تكمل السورة لأن ذاكرته اتسعت ثقبها كغربال قديم فهززت رأسك بالنفي.

فقال لك وهو يزداد تحديقا فيك :

- «ما كنت أخشاه أن يضيع أبنائي القرآن.. من يرحمني إذا مت ان كنت لا تحفظ حتى قصار السور. كان يجب أن تكون مثلي ولكن ما تشاء الا ما شاء اللّه».

لم تكن يومئذ تشعر بالذنب. حشاك المؤدب

آيات بعصا من زيتون، وتبخر ما حفظته عندما اختفت العصا والفلقة، ولكن بقيت قطعة من العصا في نفسك ألا تعصي. أن تمتثل لما كتب في اللوح المحفوظ، ألا تغضب، أن تكون متخلقا إنّما الأمم الأخلاق.. الخ...

في قطار العاصمة دست قدم سيدة، لم تكن متعمدا، غرزت فيك عينين أحدقت بهما مساحيق متناثرة من الجير. مططت شفتيها وقالت : «هابط من الجبل...» ويومها عرفت المدينة! وسكت على عقب سيجارة يطفأ في قلبك، ولكنها لم تسكت.. توالت أشرطتها المسجلة قارسة كالبرد في قريتك ولم ينشف لسانها حتى تراءت أضواء العاصمة.

في الشارع كانت حقيبتك تثقلك، وكنت تخاف أن تنخرم يدها. لقد اتخمتها أمك «بسبوسة» بالسمن وتمرا بالعسل والسميد وفطاير وتينا مجففا الخ...

وسألت رجلا أنيقا عن وكالة الجنوب وعن «بطحاء الخيل» فنظر اليك من أعلى قبل أن يجيبك ثم ابتسم.

زوجة خالك تملك هذه الوكالة منذ سنين طويلة. قال لك أبوك : «كن حاذقا انها سيدة طيبة. ستكفيك مصاريف السكن... والجامعة جنة المحرومين. الفتيات يدخّن وتستطيع أن تقبلهن والأستاذ يحاضر. هن متحررات وجميلات !.

ولذعتك بقعة جائعة فلعنت الوهم والخيال الزائف. ثم عدت للاجترار من جديد.

... الواجهات البلورية تتقاذفك، يكبر رأسك حتى القبة وتصغر رجلاك حتى النملة. لأول مرة ظهر الوشم الأخضر على جبينك المحنّط واضحا، اراه على البلور وعلى الابتسامات العديدة. أمك تقول انها نسخته عن أبي زيد الهلالي، لكي تصبح أبا زيد قلبا وقالبا. لا شك انه طريف، والطالبات يعشقن كل ما هو ««أقزوتيك».

أمام وكالة الجنوب انتشلت حقيبتك وهي تهم بالسقوط، تبعثرت العلب وعمت رائحة السمن والزيت الفناء القذر.. وأطل أقوام شعث اللحى من نوافذهم، وجوههم سمر وبعضهم يحمل وشما ويعوم وجهه في حزن عميق. ولممت عليك وأودعتها بطن الحقيبة قبل أن ترفع عينيك نحو اليافطة المعلقة على جدار الوكالة : قرأت «ممنوع الخمر وجلب النساء». وقلت : انما الأمم الأخلاق.. الخ.

قالت زوجة خالك قبل أن تعرفك : ماذا تريد ؟

ـ أنا أبو زيد !.

حيتك في فتور وسألتك عن البلد، وعن الأهل وعن المطر وعن صابة التمر الخ...

* * * * *

ها أنت في حديقة الجامعة. الطلبة متمددون يتحدثون ويدخنون. الطالبات أجناس : سمراوات وبيضاوات.. شعر غزير فاحم وأشقر سنبلي مذهب وعطر مدوخ.. ولكنه عالم بعيد عنك.. وقلت أنا جديد وغير معروف والحب لا يكون هكذا. بل لابد من تعارف وتقارب. ولكن شعرت بحصار كثيف يضرب عليك من أول وهلة. لم تكن مديد القامة. بل

كانت رجلاك مقوستين ووجهك شاحبا ومحروقا. وشعرك أجعد ومتصلبا. لست تدري لماذا تمنيت يومئذ أن يكون الطلبة عى نمط «الخماسة» في قريتك. فطس الأنوف قصار القامة شاحبي الوجوه. وتمنيت أن تغرس أنيابك في تلك الشفاه القرمزية وأن تعض تلك الرقاب العاجية...

... تطايرت خصلات من شعرها مبللة من تحت الشال الوردي لتقع في فمك وهي تدخل الجامعة.. المطر وماء الكولونيا يملآن رأسك حتى الاغماء حتى جنة المتقين.. ،صعدت مدرج الجامعة تتأبط كراريسها المزخرفة، وتضرب الرخام بحذائها القصبي في ايقاع نشواني.. ومكثت واقفا كتمثال أتعبه الانتصاب، في عينيك المطر وفي حناياك العطر.. ثم تبعتها الى مكتبة الجامعة ووجدتها واقفة أمام الباب تتحدث الى إحدى رفيقاتها، ولم تستطع أن تقول لها : معذرة يا آنسة. كان الشعر العاطر ما زال في فمك، يسد جهاز تنفسك وتصويتك.. ورمقتك رفيقتها بعين فاحصة ولكنك أسبلت أهدابك على عينيك تنظر الى حذائك المقشر.. واحتد شوق غائم في صدرك.

وشعرت لأول مرة أن طعم الحياة هناك في شعرها المنسدل على ظهرها ترصعه حبات المطر.. ورفعت يدك لتلمسه ولكن يدك كانت مشلولة كأنما نقرت بعصا المؤدب الزيتونية. وتعجز عن رفع يدك، عن تحريك أصابعك، عن الكلام، وعن تحويل عينيك... وتدفع الريح العاصفة باب المكتبة الزجاجي فينغلق لتبصر وجهك المشوي وعلى جبينك وشمة أبي زيد الهلالي سلامة!..

وتتقدم من الباب متعثرا في خجلك فترتطم يدك بيدها وتتبعثر كراريسها المزخرفة ولا تقوى على الاعتذار وتبقى واجما كقط مدحور! ونرفع نحوك أهدابا يتأرجح عليها حب المطر، ثم تضحك في صخب وتقول لصاحبتها في فرنسية سليمة :

- «هؤلاء أناس تنقصهم اللياقة الرجولية.. «هابطين» من الجبل، أولى بهم أن يكونوا نماذج للتاريخ البائد...»

وودت لو تودّ لتقول لها انك نموذج من الحاضر وأن آلافا مثلك وراء حدود الجامعة، وراء حدود العاصمة والمدينة. ولكنك تصمت وتأخذ طريقك الى الداخل وسياج بارد يحوط قلبك وحنق فظيع يدخل صدرك وقلت لنفسك يومئذ : تنقصها الأخلاق، ومن لا أخلاق له لا يمكن أن تعاشره أو حتى ترد عليه اذا خاصمك، هكذا أوصاك أبوك.. وانما الأمم الأخلاق!.

* * * * *

هؤلاء الذين يسرحون بانظارهم التائهة بعيدا، وعيونهم تدور في وجوه لا لون لها ولا شكل، هم شركاؤك في الهوية، هؤلاء الذين يسيرون في طوابير طويلة عبر الأزقة الموحلة يحملون رؤوسا ثقيلة لا شيء يشدها الى الأفق، ويجرون أجسادا كبيرة تدفعهم دفعا الى حوانيت المومسات هم ماضيك وحاضرك

ومستقبلك، وصديقك الريفي الذي يسير جنبك هو امتدادك الطبيعي. قبل أن تعبرا أزقة المأخور كان يحدثك عن فيلسوف يسمى «ماركوز»، يعتقد أن الثورة الحقيقية تبدأ من تحرير الجسم من قمقم المصادرة والحظر، وحدثك عن عالم نمساوي يسمى «فرويد» جعل الجنس محور الحياة وفلسفته كلها تقوم على اطلاق الانسان من عقال الكبت والحرمان... وقلت لنفسك لما نقرأ كل هذا اذا لم نستفد به، اذا لم نطبقه، الدراسة والحياة شيئان لا يختلفان. عندما نعلم الطلبة الكهرباء فليصبحوا كهربيين لا بائعي «لبلابي» وعندما ندرس «ماركس» و «بافلوف» أو «فرويد» فلنتحرر من ربقة الطبقية والتقليد والجنس... خطأ ما ندرسه وبذلك لا يمكن أن نتخلص من جراثيم العدوى التي تصلنا منه، أو لا ندرسه وبذلك نبقى في الجهالة.. الجهالة ولا التمزق!.

... احسست بمرافق تتدافعك، جمع غفير من الناس يقفون اما مومس شقراء ترتدي لباسا داخليا شفافا لكن جسمها بدا لك جثة عفنة بدون حياة.

تسربت الأصابع السمراء ذات الأظافر الطويلة الى جيبك، ورأيتها ولكنك تجاهلت، وجه صاحبها يحمل وشمة ريفية. هذه اليد هي يدك وحرام أن تمنعها من الولوج الى جيبك، اتركها وشأنها. جيب بدلتك لا يحوي الاقطعا تقدية قليلة، لا تساوي ثمن سيجارة تافهة. ثم ارتدت اليد. أكملت مهمتها ولم يبق لها الا الانسحاب. رفعت عينيك وابتسمت لصاحبها بمرارة فانسل مختفيا بين الصفوف المتراصة.

* * * * *

... جذبك صاحبك من ذراعك وقال لك :

ـ «انظر هذه السمراء... أكاد أكون من المشتركين في جسمها.. أعرفها منذ عامين».

وتركك؛ واجتاز الرواق ثم انغلق الباب. ووقفت تنتظر دورك.

... لما خرجت ابتسم لك صاحبك ولكنك لم تستطع أن ترد على ابتسامته. كان حلقك مشققا وأحاسيسك من خشب، اكتشفت أن حياتك وهذه المرأة يشتركان في صفة واحدة: أن كلا منهما مومس. والمومس لا نكهة فيها، وأن الصور العارية التي تقضي الليل باكمله تمزقها بشفتيك وتضاجعها مستيقظا وحالما لا تختلف في شيء عن الحياة المومس والمرأة المومس، البغي فقدت هويتها كامرأة تحبّ تتابع المضاجعة وحياتك فقدت معالمها لأن جسمك المدحور يغلق أمامك منافذ الطموح والانتاج ولأن عصا المعلم لا تزال بين ضلوعك تتحرك كل لحظة، ولأن البيت الشعري (انما الأمم الأخلاق ما بقيت) ما زال على لسانك رمزا لهرم قيمي مقيت. أما الصور العارية فجماد يمنع تدفق الحياة الحرة في أعماقك!

* * * * *

... لم يتغيّر أي شيء... وستنام الليلة مثل بقية لياليك تحت وخزات البق والقلق... ستنام وصورة الحسناء العارية المشنوقة على الجدار محفورة في أحلامك، وستمضغ هذا الجزء من الماضي لا لشيء الا لأنه لا حق لك في الحياة... لا حق لم في الحب.



شعر

الشمس الضاحكة

شعر : عبد الرحمان الكبلوطي

عشرون عاما والبلاد تسير ... في موكب كم زانه التغيير
فاحت زهور الروض في خضرائنا ... وبلابل الفرح العظيم تطير
واللحن يسري كالضياء رنينه ... نغم تمايل بالنفوس خبير
والشمس ضاحكة بنور ساطع ... والبحر صاف والرمال حرير
والحبّ يسكن موطني ويلفّنا ... من عطر بستان الهناء عبير
والكل يجني من ثمار جهوده ... رطبا بها هذا الأنام جدير
والتمر حلو في بدائع واحة ... والنخل طلعه باسق ونضير
وجبالنا بلغت مدارات السما ... في الرسم عنها يعجز التصوير
هاذي الزياتين انتشت في مهدها ... ولنا بآيات الرخاء تشير
وسنابل القمح الجميلة تزدهي ... بشموخها وبها الفراش وثير
والبشر يطفح في الوجوه مؤانس ... للسائح الضيف النزيل سهير
والسلم في بلدي يدوم لأهلنا ... والأمن والخير العميم وفير
والشعب في كنف التضامن سائر ... والعدل للنهج القويم منير
لا عنف لا إرهاب في أرجائنا ... والدين في هذا الحمى تيسير
قيم التسامح والتفتح عملة ... هل مثلها في العالمين نظير؟!
بالعلم ندرك والذكاء مرادنا ... وطموح شعبي في الحياة كبير
لا فرق بين نسائنا ورجالنا ... ساوى الجميع العقل والتدبير
ودم الشباب على الدوام مجدّد ... وعلى التقدم بالبلاد، قدير
تحيي الثقافة للنموّ دعامة ... ومجالها الإبداع والتعبير
عشرون عاما نحتفي بخصالها ... في موكب كم زانه التغيير

تونس تزهو بعهد سعيد

شعر : د. جعفر ماجد

سلوها فكم خافَ عشاقها … عليها الدماء وأبعادها
وباتوا يعدّون أيامها … لتلقى مع النحسِ أنكادها
ولكنها أشرقت فجأة … وقد عشق الفجر ميلادها
بوجه يبدّد أحزانها … ووجه يحقق إسعادها
فمن كان يخشى على تونس … فتونس جادت بمن جادها
زمان الظلام كثيف كثيف … وللغيب وجه مخيف مخيف

وأرسلت السحب إنذارها … لتدفع بالنار أمطارها
فغادرت الطيرُ أوكارها … وساءلت الأرض أشجارها

ولمّا ابتلينا بتلك البلايا … ولم يبق في الشعب الاّ بقايا
تفجر صوت فهزّ البرايا … وراح يلملم منّا الشظايا

لقد حققت تونس المعجزات … بإبداع أبنائها المبدعين
وسارت تعلّي صروح الحياة … لتبهر اياتها الناظرين

تذكّر إذا جاءك الموعد … تباشير فجرك إذ يولد
وقد كان ليلك لا ينتهي … وقلبك من طوله أسود
مواكب نور لفجر جديد … تعود بذكراه في كل عيد
وافراحنا كل يوم تزيد … وتونس تزهر بعهد سعيد

تونس حبيبتي الأولى

شعر : فيصل الصمعي

« أحبكِ تونس والحبّ ديني » ... وهذا قصيدي إليك رسولا
أنا شاعر عاشق لا يبالي ... يكابد عشقل وحملا ثقيلا
نما الحبّ يوما بقلبي صغيرا ... ترعرع في الصدر زهرا جميلا
أنا من رضعت هواك جنينا ... فشبّ الهوى في ضلوعي نخيلا
يشق السما كطود بخطو ... سويّ بجذع أبى أن يميلا
فلا كسّرته رياح الشتاء ... ولا هو قد رام عنك العدولا
ومن كان في العشق صبّاً وفيّا ... فلن يرتضي عن هواك بديلا
وقد يأفل البدر يوما بليل ... ولا يعرف الحبّ عندي الأفولا
لقد كنتِ شمعا وكنتِ الثقاب ... وعشقك أوقد فيّ الفتيلا
ومنكِ تعلّمت سرّ الغرام ... فكان الغرام عليك دليلا
أيا تونس الحبّ ماذا أقول ؟ ... وشعري فيك غدا سلسبيلا
ومن أين أبدأ عشقي إليك ... ومهما أقول أقول قليلا
أحبّك تونس والحبّ أنت ... وأصل الهوى أن يكون أصيلا
فمن كان غيرك يعطي بجود ... ولا يرتضي من عطائه نولا ؟
ومن كان غيرك صدرا رحيبا ؟ ... يضمّ الأحبّة جيلا فجيلا ؟
ومن كان غيرك نقسو فيحنو ... ومن بنوره نستدلّ السّبيلا ؟
أيا تونس الحبّ همت كثيرا ... ولم أرى مثل هواك مثيلا
وذقت من الحبّ ما لا يعدّ ... وصنو هواك بدا مستحيلا

* هذه القصيدة تتنزل في إطار معارضة لقصيدة الشاعر الصادق شرف (أبو وجدان) صاحب «الأخلاء» الذي كتب قصيدته بعنوان (تونس الحبّ... تونس الياسمين) منذ سنوات وعارضها عديد القراء منهم يوسف رزوقة، والحبيب بن فضيلة والحبيب الهمامي وآخرون...

دعوني أجرب موتي

شعر : كمال قداوين

دعوني أجرّب موتي
وأنهض أحكي لكم
عن مراسم لوح السّلالة
ثمّ أعود إلى موتة ثانية
آه لو يشهق القلب بالصّحو
يزرع في جسد الروح
خارطة من ربيع المحطات
في منحنى العمر...
خيلي مدجّجة
بغبار الفصول
ولكن مشيتها في البلاد وئيدة
تكابدها النزوات
على مفرق الوقت
عند سفوح الظهيرة...
ماء الحياة قلبل
وحبل الفناء طويل
وشمس المكان عنيدة ...
زمانا وما فتحت وردة القلب أغلاقها
واستوى مهرها في دمي
زمانا أحاول أشهر حقد الكلام
على ساحل القلب
تربكني الخطوات
فينمو هشيم البيادر في رئتي
يصهل حتى ارتجاج النخاع
ليجهض رمل المسافات
في بيد أرحمنا القاحلة
والمطايا القعيدة
دعوني أمجّد موتي
ليوغل طير الأبابيل في أضلعي
وأعود أقول لكم
كلّما لم يقله الحبيب لعشّاقه
والنخيل لأعذاقه
والثّنايا الشرّيدة
هي الأرض ناحلة
ومغاليقها أشرعت زبد النّوء
وانتبذت في المواسم فجّا عليلا
بمنعطف غير ذي فرح
في الأقاصي البعيدة
زغب للكلام
يراودني في دمائي
ويقضم تفّاحة الروح مني
ليجرفني لسهوب جديدة
آه لو كان بي ولع بالكلام
كنت أرسلت نار القرى نحو ذنب القُرى
واتخذت عصاي
أهشّ بها على غنم القلب
أو أتسلقها لغة
لمرايا البياض العديدة...
هي الأرض واقفة
سمقت وردة اللّيل في دمها
وغيوم الفؤاد مخضبة
بشتات الغثاء اللئيم
تمجّد ريح السؤال
وتمطره بجراح جديدة...

قصـــائـــد

شعر : حياة الرايس

حكاية ليلة البارحة

ليلة البارحة
وقفت طويلا أمام مرآتي
أختار قميص نومي
سكبت سواقي العطر
على جسدي
فردت شعري
جمّلت الأساور معصميّ
أحضرت كأسين
أوقدت الشموع
حرقت البخور
فرشت الحرير
زيّنت السرير فلا وياسمينا
تذكرت كل التفاصيل
لكنني نسيت
ان ليس لي حبيب

سيّد الليـــل

البارحة جعلتك سيّد الليل
واستضفت لك النجوم والقمر
وجعلت لك
كل واحد في كفّ
ومن وميض عينيك
سرى البرق والرعد في جسدي
ولهمسك يخشع الليل
وعند بوحك
ارتجف الورق في الشجر..
رقّ الخشب حتى
اشتهى الفناء في نار موقدي
وحدها السماء لم تلبّ
لقد كانت تشتهي ســريــري

حوارية الأيام

من وحي قصيدة «شموع» للشاعر اليوناني قسطنطين كفافس
في أول يوم من أيام العام الجديد

تقف أيامي ورائي
صف شموع ذاويه
تهمس شمعة الأمس
لشمعة اليوم الموقده
ما الفرق بيننا ؟
ما الفرق بين اليوم والبارحـــــه ؟
فلن يرقص ضوؤك كثيرا
فغدا ستصبحين بيننا
يهتز فتيل الشمعة المضيئة :
«ما الذي يمزّني
عمن أضاؤوا وانطفؤوا ؟
عمن ضحكوا وبكوا ؟
تحت سماء السعادة والألم

* من مجموعة شعرية تصدر قريبا بعنوان «كل خريف، وأنت حبيبي».

الغيمة الأخيره

شعر : سامي المسلماني

هذا المساء
سأسافر مع الغيمة الاخيره
سأتشبّث بأهدابها
إلى الرّمق الأخير من الوتر
سأحكي لها
عن شكوى النباتات
والعصافير
والفراشات
وأبناء آوى
والسّحر
عن ترّهات البشر
ثمّ أستحلفها بأغزر الأمطار
أن تقبلني عبرة
من عبراتها المرره
فإذا قبلتني
أصلحت مجاذيفي
ورتّقت أشرعتي
وكان لي السفّر
وإن أبت
زرعت في روحي غيمات كثيره
أتركها للرّيح تعبثرها
وأستبق الأخيره
فأنا لن أسافر إلاّ
مع الغيمة الأخيره.

لم يمض الوقت بعد

شعر : عبد القادر بن سعيد

النافذة الزرقاء
وجه يخفي وجهه المظلم
والسماء القريبة من هذا الليل
العشب المتعب من أقدام الظل المهموم
الشجر المتفوق على استراتيجية الريح العابرة
مضت تلك الأقدام التي أسرعت في خطاها
أو التي لم تصل
مضت ذكرياتها
وذكريات تلك الحقول الميّتة
تلك الحقول التي أزهرت ثمّ نامت
العقل الذي يدير شؤونه
صار شأنا كبيرا أو صار أكثر
والأنثى تلك المرأة المرهقة بالقانون
بأوتار بنود الشفقة
مضت واختفت
لكنني بالرغم من كلّ هذا
لم أتذكر «ديدون» حين سيّجت قرطاجها
والرجل الضيّق بعروبته
المنهزم بهزائمه المهزومة
يحلم بأنتصار الوقت والفراغ
هي النافذة مفتوحة إلى اللّه
لكنّ الروح مغلقة في الوطن البارد
لم أكره ما حول هذا الغصن المعطّر برائحة القمح
فكرت في لغتي / في التاريخ / والموسيقى
فكرت في الأهل والأقرباء
أصحابي الطيّبين وقصّة حبي القديمة
فكـــــرت . .
شرّعت النوافذ
الشاعر في آخر الشارع الرئيسي
ينشر بياضه في اتساع السواد المقيت...

عيناك أغنيتي

شعر : الهادي العثماني

عيناك والأشواق يا «فاطمة»
لغة تفسّر عشقها،
لغة جديده أحتاجها،
كي أستعير قصائدي الخضراء
في درب الرحيل إلى مرافئك البعيده
ويداك سنبلتان تحت الشمس
تهدي الرّوح رايتها الوحيدة

* * *

أحتاجك في الدرب يا «فاطمة»
عيناك بوح للقصائد ـ لغة الهديل
إنّي وحيد تائه، والشّعر جرح العشق
يختزل المواسم والفصول
الحبّ... حتّى الحبّ يا «فاطمة»
يهوى القصائد والخيول
لو لم تكن عيناك بوحا للقصيدة صادقا
من يلهم الشّعراء بعض جنونهم
مـاذا أقـــول ؟...
لا تتركيني على مرافىء وحدتي
لا تـــرحـلـــــي
فاللّيل بعدك مظلم... قلق يطول
عيناك يا «فاطمة»
بحر من الأسرار ينأى،
لا مرافىء بعده
وأنا المسافر

سندباد العشق في بحر القصيده
سأظلّ أرحل فيهما
وأظلّ أرفع شاديا بالحبّ
أغنيتي الجديده

* * *

عيناك يا «فاطمة»
موال أغنية تصلّي العشق
في همس الوتر
دربان أنت والقصيده
كالنّشيد الحلو يوغل في دمي
عيناك أغنية القمر
واللّيل في الأدغال يا «فاطمة»
يستنفر العشّاق في درب السّفر
عيناك بحر للقصيدة والهوى
عيناك نور الشّمس... أو ضوء القمر
ويـــــداك...
عصفوران يختلجان
في برد الشتــاء
قلبي على شفتيّ...
أم نسغ الشّجر؟!
الشّعر يا «فاطمة» للرّوح أغنية سعيده
ومواجع التّاريخ كلّها نبضة
في القلب.. مؤلمة شديـده...

إبنة قرطاج

شعر : عبد الله القاسمي

هبيني مراياكِ يا آبنة قرطاج
أفيق على سيرة الماء
كيف تغطي آنهمار الضياء
على وجنتيكْ
وتأتي سنابك خيلي تحفّز معنى الوصال إليكْ
هدى النور يمسح ظلّك يا آبنة امرأة يانعهْ
ما له يقنع الآن بالكلمهْ ؟
ما له لا يميط اللثام عن العشق يا ابنة النظرة الوارفهْ ؟
ما له لا يعيد إلى الصبح ضوء مراياه يا ابنة صبح الفينيقْ ؟
هبيني مرايا الكلام أنا لست من ضلّكْ
أنا عشقك المتأخر عن حلمنا بضع لحظهْ
أنا ابن الصباح الجميل الذي ظلّلكْ
هبيني ضياء مراياك يا ابنة الأزمنهْ

....

الحبّ أن تكون في عراء الوحشة
أن لا تكون لها وأن لا تكون لكْ
أن تكونا الذاكرة فقط.
هو ذا الإحتفال بالعيدْ
الحبّ... مـــاذا ؟
الحبّ حلول على أرض غيابْ... الحبّ غياب جديدْ

....

حدّقت في عينك هذا اليوم
كنت على حدود العشق لم أتبيّن اللحظاتْ
أحسست أني ماكث في جنّة العشاق

هل لي أن أقول...

هل أقتفي أثري المعانق للعيون الدافقاتْ

أنتِ الصبابة يا رؤى.. أنتِ الصبابة يا ...

فلتسألي نظراتنا كيف انتشينا.

كيف انتجعنا غابة الأحلام

لم نرأف بأنفسنا

كنّا ضياعا نأسر اللحظات بين جفوننا

وننام فوق الماء

هل لي أن أمارس محنتي

أن أخبر الأطيار أني عاشق للأعين الشهباء

للنّمش الذي صاغ الجمال على مياه الجيدْ

وللثغر المورّد بالدماء، دماء الحروف

يا ليتني كنت الزمان الذي ساحت دقائقه ولم أعرفكْ

يا ليتني كنت الثواني التي مرت على جسدك

يا ليتني... ماذا أقول ؟...

حدّقت في عينيكِ هذا اليوم

كنت معانقا لغتي الحزينة

لم أجد غير التمنّي قافيهْ

يا ليتني ما وجدت

الحبّ يبقى يا رؤى بيني وبينك قائما

في الحلم في صمت العيون الدافقات

وفي تعبي، إني تعبت...

ماذا لو يعانقنا التّعب ؟

حدّقت في عينيكِ فاتنتي

فرأيت تفاصيل المرايا في ثنايا الوجهْ...

على قاب نهرين أو أدنى

شعر : المهدي عثمان

القيت في المجرى الفؤاد ونمت
مرّ الغريب بقلبي
رأى القلب بين الماء وبين الماء
يوصد بالطمي نوافذه
ويطرد خارج النبض...
ضوءا تسلل
طرّز العتمة بالشوق
.... واشتاق
ظلّت كوّة الشرق
تطلّ على نصف زيتونة
.... خلف الستائر
.... بلا صلوات
نفذ الطمي
قالت أصابع عدلّتها الخرائط
أين الطمي ؟
وألقت سؤالها يجفّ على عشبة
تتوسّد خد النهر
استأذن النهر من المجرى
وترجّل حافيا
لا أحد يقاسمه العبور
يعرض ضحكته للبيع
وتضاحك حتى باع ضحكته
لأوّل امرأة...

تفتّش عن ثديها وسط الزحام
.... تساءل عن نبوءة النهر
وعن مجرى يغيب وتمحوه الخرائط.
....
احتضن قلبي
ويحضنني النهر
بين القلب وبين النهر
طين تفسّخ وعيا
وأجهش بالبعاد
أتقلّص متسللا
حيث جيوب النبض
رأيت البذرة حيث البذرة
ترقص بين القلب وبين النهر
وبين إغفاءة الحلم
وتثاؤب الوطن المتكاسل
كانت تقول :
صباح السنابل أيّتها الأرض
صباح الأيادي تستريح من الطين
... وتحتمي بالتراب
صباح النهر والمجرى
صباح الحضور
صباح الغياب...

جزيرة الماء

شعر : محمد لطفي البكري

قلتُ لأمتطي صهوة الليل
وضوء الهزيع الأخير
في أعالي البحار...
وهيهات أن صرت قيد أنملة
إزاء المدار
وعند هودج السّامرة
الذي قدّ من وجع النّهار
وحيث لا شيء تحتي
غير جزيرة الماء
ولا شيء فوقي
غير السماء
تظللني حتى كأنّني
نجل النديم المقيم
وصوت الغريب
فوق السفين العظيم
وإنّي أزعم في ذروة السكر
وبوح النشيد
كمن يرى خيل المريد
على مشارف البيد
ولي اللّه في لجّة البحر
عندئذ ولي
العتاليت الصّناديد

في الليل

شعر : أندراي فالتار
ترجمة : عثمان الجلاصي الشريف

نفس اللّيل هو نوز الظلمات،
في البدء كان اللّيل.
أيها البريق السنّي أنت تلامس بدايات
الزمن وفي داخلك ينهض صدى «كريستال»
أسود،
أغنية على مدى البصر.
الليل نفس طويل ينفذ عبر عينيك
يلقى بك في الداخل - في الخارج
بجناح خفّاق،
دون نار، دون عقيدة، دون مكان ولا قانون
الليل يشرب من رمال أحلامك،
كل من يتكلم باسم الليل يغدو عاشقا مجنونا،
حكيما استخفه المجون أو مسافرا مذهولا،
بقلب أرحب من البسيطة.
عندما نصغى إلى الليل
أهو شكوى
ملاك متكلّس
وهم مثبّت
على باب الأشياء
كتف ترتعد
أم روح عاودت الرحيل في حجّ دام ؟
زمن الهروب لمن استطاع صلب الايقاع،
تعابير نغم الجاز لضوء الجسد
بدموع عبد وضحكات من نحاس
تولّد دفق ليل أرق أسود.
ليلا حيث جلبة السلاسل مزقت الأغنية.
ليل الأعصاب المحروقة حيّة في النفس،
ليل عار وعنيف،
يختلق من الجرح
فضاء حراً «للمتوحشين» وللرّيح.
أيها الليل،
....
إنّك ترهق كل الصوّر، كلّ الرغبات
كل الظلال،
باجراء وحيد،
الدوار العنيف للقلب
بين البرق والانتحار.
الليل يعيش من سرّ هائل
حيث المغالاة
والشكوك والجرائم في مواجهة الصمت.
الليل ليس روح النّهار،
انه روح الشمس.
الليل، صباح الروح.
الليل رؤيا عارية وتجربة الأضداد
حيث يصبح النسيان ذاكرة.
في عين الفينيق : ليل يواجه ليلا.
الرسام الذي أراد انجاز صورة لليل

فقد عينيه ووجهه وظلّه
ليصبح كشافا للأرواح التائهة.
الليل طريق الضوء والحبّ
أغنية هاربة أبعد من الأصوات،
ليل التوحّد الكبير
حيث يرسم النفس
القبلة والغم.
الليل بلد اللاشيء الهادي،
صحراء الامتلاء.
أسمع بأطراف عيني
صمت الينابيع
وحشرجة خفيفة لوردة نائمة.
قلب الليل يخفق في فراغ ما بعد نشوة الوصال
كمن يبحث عن الزاوية اللامرئية للنسيان.
قلب الليل
فرج فتاة شهيّة
ومذاق الليل
على الشفاه الطريّة
صدى جرح عميق في آخر الليل
واحدا واحدا نمضي معمّقين
سواد الجهة المظلمة
والأعجوبة ترى هالتها الزرقاء
تحت نور الليل.

ملاحظة:
هذا القصيد مأخوذ من مجموعة للشاعر بعنوان «الجحيم والزهور»

قصائد للأطفال

شعر : الحبيب دربال

أحلـــى المـواعيـــد

أنـــا التلميـــذ أحيـــانا — وسـيّده أنـــا الآنـــــا
أرى في حلمـه وطنـــا — ثـريّ النّبـــع فتّـــانا
يؤرّقــــه فيــرسمـــه — فـراشـــات وريحـانـــا
ونخــــلا باسقـــا أبـدا — مــدى الأيـام ريّـــانا
وزيتونـــا وتفّـــاحـا — لذيذ الطّعم مذ كانا

* * * * *

أسافـر فــي بـراءتــه — فـأقضـي العمـر جذلانـا
إلـى المرفـوع (1) أحملـه — وفـي المنصـوب(2) تلقـانا
ولا أنســى تعامـلــه — مع «اللاّمـات»(3) أحيـانـا
كـذا التعبيـر بعشقــه — كمـا لـو كـان قـرآنـا
وإن يبـد لنـا طربـا — إذا مـا الوقـت قد حـانا
فـتلـك علامـة جمعـت — مـن الإبـداع ألـوانـا
وإن ضـنّـت بـه نـعمـي — سلـوا باللّـه صفـوانا (4)

---

(1) الفعل المضارع المرفوع.

(2) الفعل المضارع المنصوب.

(3) لا النافية، لا الناهية، لام الأمر...

(4) تلميذي : صفوان كمّون.

تحت الخميلة

تعالي «منى»(1) والعبي مثلنا
فتحت الخميلة يحلو الغناء

* * * * *

نرى أرنبا ضاحكا يشرب
وحول «ندى» طائر يطرب
وهذا القطيط أتى يلعب
وفوق الخروف بنى مسكنا
تعالي «منى» والعبي مثلنا

* * * * *

إذا فاح طيب هنا وانتشر
وبانت «حنان» وراء الشجر
على الرأس تاج يشدّ النّظر
نغنّي جميعا وندعو «منى»
فتحت الخميلة يحلو الغناء

(1) منى : ابنة الشاعر

سلوكي حضاري

سلوكي حضاري وهذا شعاري
أحبّ كثيرا صديقي وجاري
سلوكي حضاري
أظلّ وفيّا وطفلا أبيّا
طليق المحيّا كشمس النهار
سلوكي حضاري
وأفرح حين أراك أمينا
أرى الخير فينا يعمّ الصحاري
سلوكي حضاري
أضمّ يديك وأحنو عليك
ففي مقلتيك رأيت انتصاري

قصـــائـــد

شعر : ناجي الحجلاوي

رؤية

أراني
على ضفة العمر
أعصر خمرا
وأمسك جمرا
رأمضي بأمري
إلى الضفة المقبلة

كمظا النـهور
في أعين المبصرين
أراني
أمزّق ستر الشغاف
فهل أستبين رؤاي ؟

أراني
على ظهر موج
أوسّس برجي
وأزجي
من الكلمات
عجابــا
يكون ثقوبا من الطين
للظاعنين
وما من الشعْر
للظّامئيــن

أراني
على سطح أرض
من النّور قدّت

حلم من تراب

واحة من أغان
جولة في زقاق العمر
قالت الطير :
إنّ القلوب التي عاد صداها
إلى مخبإ الفكرة الغامضة
ليس منها ضياء
وليست بنار الهوى نابضة
ويء بريح
تهبّ هبوبا شديدا
وتثني على كلّ زهر
ثناء وحيدا
تدير على العاشقين مزاميرها
تصد عن الغافلين صدودا
وتذكي من الشّهعر نارا

عساها تكون لأهل النشيد
مـوائـد
ثمّ عيـــدا.

مملكة النمل

نمـلة ،
نمـلة ،
تقضم عمرها...
داخل الجورب المهملة
نملة ثانية
لاهيـة...
تضحك من بكاء...
نملة ثالثة
تمضغ حبّة ذاوية
تظلع في العطور
ترفع راية من بقايا العصور
نملة أرملة
غنّت الرّيح
في الليلة المقبلة
نملة رابعة
رائعـــة...
تملك جحرها
بالمراثي لقديمة
وباللّغة اليابسة...
نملة سادسة
نملة سابعة
أيّها الداخلون
أخرجوا من مساكنكم
وآحطموا مثل جند سليمان
أعجاز هذا الجليد
حفنة الطّين
في حشن هذا التراب
والغبـــار
لعبة في اليد
منذ عهد بعيد
أرجعوا أيّها النّمل
تين البساتين إلى أشجاره
وآجعلوا الكيد في نحر من شبه العنزة
بالغـــراب.

خاطـــر

خـاطـــر
من بحار المنى
حـــال
دون
الأنـــا
والأنـــا
وآرتـــوى
من سؤال دنا
ثمّ غار بأرض كما لم يكن ها هنا
عارض من سراب
سدّد السهم عفوا وغاب

من ثنايا الأسى
والخـــراب
عاشت الأرض
حينا من الدهر
حبلى بعقم
وسـقـــــم ،
وبذر اليباب
شارد من قيود اللّغات
نام في الموت حيّا
وحطّ على قمة من غياب
من لأرض إذا بارت الأرض
من عوان تسرّ إلى قاجل
لا تروق لسيّدهـــا.

نقد أدبــي

ياسين رفاعية

نهر من الحنان والابداع

بقلم : عبد الرحمان مجيد الربيعي

-1-

تعرفت على اسم ياسين رفاعية بعد قراءتي لمجموعته القصصية البكر «الحزن في كل مكان»، كان هذا عام 1961 تحديدا، أي بعد عام واحد فقط من صدورها.

كانت تلك المجموعة فاتنة فتيّة، وأحسست أن فيها نبضي، وأن كاتبها قريب مني وكأنه صديقي يجالسني في أحد مقاهي الناصرية حيث أعيش ،يثرثر معي عن أحلامه القديمة.

ولم تأت مجموعة ياسين هذه وحدها بل ومعها أعمال متميزة أخرى قرأناها بانبهار ونحن فتية تلك السنوات الستينية الفائرة. ومن تلك الأعمال «صهيل الجواد الأبيض» لزكريا تامر، «حزن في ضوء القمر» لمحمد الماغوط، «المهزومون» لهاني الراهب الذي (بشّر) جيلنا بالهزيمة مبكرا، اضافة الى كتابات حنّا مينه وعبد السلام العجيلي وغيرهما.

كان هؤلاء الكتّاب ومعهم أسماء أخرى من لبنان أمثال توفيق يوسف عواد، سهيل ادريس، ويوسف حبشي الأشقر مطلوبين من قراء سنوات الحلم، وكنا نقرؤهم ونجرب ابداء آرائنا في أعمالهم.

وعندما علمت ان رفاعية هو سكرتير تحرير مجلة المعرفة الشهرية التي تصدر عن وزارة الثقافة السورية في سنوات رئاسة الكبير والمعلم فؤاد الشايب لتحريرها بادرت بمكاتبته. وأرسلت له مع رسالتي قراءة لمجموعة شعرية لشاعر عراقي من رفاق المقاهي هو عبد الستار الدليمي، وكان عنوان مجموعته «أغنيات لا تعرف الأحزان» فبدا الأمر مفارقة وكأن عنوان مجموعة الدليمي ردّ على عنوان مجموعة ياسين، وقد نشر رفاعية قراءتي فعلا.

وأذكر أن لقاءنا وجها لوجه كان عام 1971 ولا أدري إن كان هذا اللقاء قد تمّ في دمشق أثناء انعقاد مؤتمر الأدباء العرب فيها ذلك العام، أم في بيروت عندما قصدناها وكنا مجموعة من الأدباء العراقيين الذين حضروا المؤتمر ومازلت أتذكر منهم غازي العبادي، عبد الأمير بعلّه، طراد الكبيسي.

والمهم في الأمر أننا التقينا، فوجدته يشبهني ووجدتني أشبهه، والغريب في الأمر أننا نتشابه حتى في الشكل كما أبدى هذه

(قدمت هذه الشهادة في الندوة التكريمية التي أقامتها وزارة الثقافة السورية أواخر شهر حزيران (جوان) 2007 للروائي والقاص السوري الرائد ياسين رفاعية).

الملاحظة كثير من الأصدقاء!
في تلك السنوات البيروتية المضيئة والمدّ في تلك السنوات البيروتية المضيئة والمدّ القومي وارتفاع شعارات الوحدة العربية، وطغيان التفاؤل على كل ما عداه كنا نعيش أحزاننا الخاصة التي رآها رفاعية (في كل مكان)، ورآها الماغوط (تحت ضوء القمر) . وكنا أيضا نكتب أحزاننا بهذه الصورة أو تلك، رغم ان كتاباتنا لا مكان لها خاصة في العراق الذي كان يعيش السنوات الأولى من ثورة تموز 1958 حيث تهاطل النصوص المتفائلة المستبشرة التي تتغنّى بالجماهير، ولا تعرف الأحزان كما هو عنوان مجموعة الدليمي الشعرية الذي كان منضويا وقتها تحت لواء الحزب الشيوعي.

-2-

كانت المحطة اللبنانية بالنسبة لياسين رفاعية مهمة الى أبعد حدّ حيث توجّه الى بيروت رفقة زوجته الشاعرة أمل جراح للاقامة والعمل.
واذا كانت حياة رفاعية في أحد أحياء دمشق العتيقة صعبة احترف فيها العمل اليدوي في فرن والده واخشوشنت يداه من ذلك العمل القاسي تماما كما هو حال رفيقه زكريا تامر الذي عمل في الحدادة، فانّ حياته في بيروت كانت مناقضة لتلك الحياة، اذ انه اشتغل هذه المرة في الصحافة وواصل انجاز مشاريعه الكتابية ونسج علاقات واسعة في الوسط الثقافي اللبناني المختلف في حجم ما يصدر من صحف ومجلات وعدد دور النشر المتميّز عن البلدان العربية الأخرى.
لكننا لم ننس أن ياسين رفاعية انتقل الى بيروت بذاكرته المعبأة بتفاصيل الحياة في الحارة الدمشقية. وهذه مسألة مهمة لمن يقرأ أدبه وخاصة الروائي منه، وسنرى هذا في روايته التي اهتمّ بها القراء والنقاد «مصرع ألماس» (1986) وصدرت في طبعات لاحقة أخرى. وسنراه أيضا في رائعته «أسرار النرجس» (1990) التي كانت من الروايات المتجاوزة للسائد الاجتماعي. وأقول هنا انني ولكثرة افتتاني به كانت أول رواية عربية أقترحتها على ناشر مغربي بعد أن طلب مني ترشيح روايات عربية لغرض نشرها في (روايات الزمن) - وهذا هو اسم السلسلة التي يصدرها - وقد صدرت «أسرار النرجس» فعلا في المغرب وقوبلت باحتفاء من قبل القراء والمعنيين.

-3-

أستطيع أن أصف صداقتي لياسين رفاعية بالصداقة الشاملة فنحن متشابهان حتى في الأجناس الأدبية التي اشتغلنا عليها، القصة القصيرة والرواية والشعر وكتابة المقالة الأدبية، ولكل منا رصيده في هذه المجالات رغم ان الكتاب الأول له كان على ضفة الشعر وعنوانه (جراح) وصفه بـ (رسائل بوح) وقد صدر في دمشق عام 1960 ولكنه وضعه تحت

باب (نصوص شعرية) في قائمة اصداراته التي اعتاد أن يلحقها في خاتمة كل كتاب من كتبه. وله في باب الشعر رصيد يتألف من ستة كتب، أعرف حكاية كل كتاب منها، إذ أنه لا يكتب الشعر الا عندما يكون عاشقا، وقد عرفته عاشقا أبديا لذا فهو شاعر أبدي.

وقد انسحب الشعر لغة على كل ما كتب في القصة القصيرة والرواية. ولنا في مجموعتيه «العصافير» الصادرة عام 1974 وطبعاتها اللاحقة و «نهر حنان» 1983 المثال الواضح وكذا الأمر مع رواياته «الممر» 1978 التي قدم فيها شهادته على أحداث لبنان كما قدمها بعد في روايته «رأس بيروت» 1993. وأخيرا شهادة حياته كلها التي كتبها في رائعته «الحياة عندما تصبح وهما» وفيها روى عشقه الطويل والباقي لرفيقته الشاعرة أمل جراح، رفيقة رحلة حياته في كل مراحلها وأماكنها من دمشق الى بيروت الى لندن وعودة الى بيروت حيث فارقت الحياة. وقدّم وفاءه الأستثنائي لها بأن غسلّها وكفّنها بنفسه.

وكم مرة طلبته في بيروت من تونس حيث أقيم ليخبرني انه الآن أمام قبر أمل.

لقد انعطب قلب أمل منذ الستينات وعاشت صمودا عجيبا لامرأة مصرّة على الحياة لتبقى الظل الوارف لزوجها ولولديها بسام ولينا وكان الامتحان صعبا لياسين اذ ان نكبته لم تنته برحيل أمل بل وبرحيل لينا التي أصابها السرطان اللعين.

ومع كل هذا بقي ياسين واقفا ولم ينعكس ما مرّ به الا ببعض المتاعب الصحية وخضوعه لمباضع الأطباء ومع هذا ها هو كما ترونه وكما أراه وأعرفه في اصراره على البقاء واقفا متجاوزا ذخيرته الباهظة من جراح القلب ومحطات الحياة المرّة.

-4-

شاءت الظروف أن أعمل ببيروت وفي ادارة المركز الثقافي لبلدي عامي 1979 - 1980 وفي ظرف صعب على كل المستويات ومع هذا بقينا قريبين من بعضنا، ياسين وأنا، وصارت زوجتي رحمها اللّه صديقة لأمل، نتزاور باستمرار فأنا أسكن في شارع السادات وياسين في آخر الحمراء، أي ان المسافة بين بيتينا خمس دقائق مشيا على الأقدام.

وكانت ظروف الحرب تحشر البشر في منطقة صغيرة، هي ما كان يسمى «بيروت الغربية» ولذا كنا نتقابل أما في بيته أو في شقة المرحوم محي الدين صبحي الذي كان يحضّر رسالة الدكتوراه مع الدكتور احسان عباس، وكنت أشعر بالأمان النفسي معهما رغم اضطهادهما لي بانصرافهما للعبة «الطاولة» ومشاغل «الشيش بيش» التي لا أعرف عنها شيئا.

وكان مقهى «الأكسبريس» المفضل لنا حيث نجلس فيه مساء لنلتقي برواده اليوميين من الأدباء والصحفيين رأبرزهم الفنان التشكيلي رفيق شرف ومنه ننطلق الى مطعم قريب وهذا

ما يسمح به تواجدنا في بيروت الجريحة.

لكن أجمل لقاءاتنا كانت مع الشاعر الكبير نزار قباني الذي من النادر أن يغادر بيته لنغرق معه في الأحاديث وكانت جلساته لا تمل، وقد لمست كيف كان يحب ياسين رفاعية حبا استثنائيا ولا يخفي عنه حتى أسراره الشخصية.

وعندما استرجعت تلك الأوقات وأنا أكتب روايتي «خطوط الطول خطوط العرض» بعد انتقالي عام 1980 كان ياسين رفاعية حاضرا فيها وفي شخصية حسان صبحي أحد أبطالها.

لكن مغادرتي بيروت لم تقطع الواصل بيني وبين ياسين إذ كنا حريصين على مكاتبة بعضنا. والتقينا مرارا في لندن الذي انتقل اليها بعد تعقيدات الوضع الأمني اللبناني. والتقينا في عدد من الندوات الأدبية التي عقدت في طرابلس الغرب والقاهرة وفي بغداد عندما لبّى هو ورفيقته الشاعرة أمل جراح أكثر من دعوة، وكم ألّح منظمو المهرجان على أمل بأن تقرأ شعرها ولكنها كانت تعتذر احتراما لشعرها من معمعة القوافي وحناجر الشعراء المدوية.

وحصلت مفارقات كثيرة في هذه المهرجانات بين أمل وياسين وقد عشتها عن قرب، وكانت تتجاوزها بعد أن تقوم بردود أفعال يعرفها جيدا خاصة عند احساسها بأن امرأة ما تزاحمها عليه حيث تستيقظ شاميتها وتنتصر عليهن ليكنّ عابرات وهي وحدها الماكثة.

هناك مسألة مهمة يجب أن تذكر هنا هي أن ياسين رفاعية عمل على أن يكون صديقا للجميع، لم يهمه أبدا المنحدر الحزبي أو القطري لهذا الصديق أو ذاك بل كانت تهمه الصداقة كقيمة حقيقية وأصيلة نابعة من شيم العربي.

كما انه نفسه لم يقترب من أي تنظيم سياسي أو حزبي بل كانت هناك مسافة معينة دائما يحرص على أن تبقى. لذا أحبّه الجميع، وأشك في أن هناك من يكرهه عدا الذين تتملكهم الغيرة، ربما، في كونه محبوبا بشخصه وابداعه.

وانني هنا كصديق لياسين رفاعية، صديق من بين أصدقائه المزمنين ان جاز لي الوصف أجدني في حالة لا أستطيع فيها الا أن أقف عند هذا التلازم وهذا التطابق بين الكاتب والانسان في شخصه فكأنه لا يكتب الا صدقه الفني والحياتي وأنه وبحكم حياته الصعبة الوقع والايقاع في كل مراحلها استطاع أن يكتب نصّه الجديد الذي وضع اسمه بين كتّاب جيله البارزين ليس في سوريا فقط بل وفي البلدان العربية الأخرى فهذا ما ابتغاه واستطاع أن يكونه. وقد باح لي مبكرا انه كاتب عربي، قومي التوجه والانطلاق وان لم ينتم، ولذا تعددت صداقاته وعدد المهتمين بأدبه. كما انه ذهب بكتبه الى أكثر من بلد عربي لتطبع فيه، مثل مصر والمغرب وقبلهما سوريا وطنه

ولبنان مستقرّه.

-5-

أصدر ياسين رفاعية 24 كتابا لحد الآن بينها مجموعتان قصصيّتان للأطفال، وهذا مجال مهم من مجالات اشتغاله وقد سبق له أن رأس تحرير مجلة اسبوعية للأطفال من بيروت.

كما أصدر كتاب وفاء لرفاق الحرف الذين رحلوا. لكن ياسين رفاعية هو كاتب قصة قصيرة أولا ويمكن القول أيضا ان بعض رواياته لم تغادرها روحية القصة القصيرة مثل «الممرّ» أو أنها كتبت أولا كقصة قصيرة ثم عاد اليها ليحولها الى رواية مثل «مصرع الماس».

ان كاتب القصة القصيرة يتملكه حتى في مشاريع قصيدة النثر وفي تقنية مقالاته الواضحة الشفّافة التي اعتاد كتابتها في الصحف والمجلات التي عمل بها أو تعامل معها وقدّم قراءات غاية في الأهمية لكثير من الاصدارات العربية وأجرى حوارات مهمة مع بعض رموز الأدب والفن العربيين. والسؤال الذي نسأله هنا : لماذا لا تجمع هذه الكتابات لتصدر في كتب توثق لعطاء هذا المبدع الذي أصرّ على الوصول فوصل ولم يتسلح الا بموهبته فقد حرم من التعليم والتخصص الأكاديمي فجعل الأمر ميزة واسنكمله بالقراءة والمتابعة ومن ثم الكتابة.

إنّنا اذ نحتفي بصديقنا الغالي ياسين رفاعية وقد تجمّعنا في دمشق الحبيبة بهذه الدعوة الكريمة من لدن وزارة الثقافة ممثلة في شخص الوزير الأديب الدكتور رياض نعسان آغا وكل مساعديه ومستشاريه فاننا نتمنى أن تبادر الوزارة لطبع ما لم يطبع من أعماله وخاصة قراءاته التقدية وحواراته فهي ثروة، وأقولها غير مبالغ.

شكرا لوزارة الثقافة التي جعلتنا نحس بأن تكريم المبدعين السوريين الرواد هو تكريم لنا كلنا ولصديقنا المحتفى به العمر المديد ودوام الابداع.

قراءة في كتاب آمال موسى «بورقيبة والمسألة الدينية

إشكالية التلبس بالعقلانية الغربية

بقلم : البشير السالمي

كانت فترة حكم الزعيم الحبيب بورقيبة أول رئيس جمهورية لتونس غداة الاستقلال طويلة وشاقة. وكانت على ما جاء فيها من إصلاحات تتّسم بتوتر الوضع السياسي والثقافي، وقد انشغل عدد من السياسيين والإعلاميين والمعنيين بالدراسات الاجتماعية والتاريخية بالوقوف عند هذه الحقبة، وإعداد البحوث والكتب حولها.

ويبدو أنّ الرجل ما زال بعد ستّ سنوات من رحيله يشغل البال، إذ أصدرت أخيرا الأديبة والإعلامية والباحثة في علم الاجتماع الأستاذة آمال موسى كتابا جديدا حوله، بعنوان : «بورقيبة والمسألة الدينية» وهي المرة الأولى - حسب علمي - تتجرأ فيها امرأة على الإبحار في خضمّ هذه المسألة المتشعبة، والتي أسالت كثيرا من الحبر لذا نتساءل عمّا يمكن أن تضيفه الكاتبة من جهتها، بعد قيام من سبقوها برصد ما للرّجل وما عليه بالتفصيل. كما نتساءل فيما إذا كان هذا العمل الأنثوي الأوّل حول الزعيم الراحل لا يخرج عن كونه محاولة ترمي إلى إعطاء «صاحب مجلة الأحوال الشخصية» لوكا جديدا بعدما تعرضت مصداقيته إلى التراجع والانحسار، بفعل تكرّر المآخذ على مواقفه من بعض القضايا الجوهرية، وفي مقدمتها الدين الإسلامي واللّغة العربية؟

ومهما كانت إضافة آمال موسى وغايتها من هذا المولود الجديد، فإنّنا نشير باختصار إلى أنه جاء مقسما إلى بابين كبيرين، ضم الباب الأول فصلين، تطرقت في أولهما إلى : «الشخصية البورقيبية والإصلاحات التحديثية» وانبهار بورقيبة بالعقلانية الفرنسية وبفلاسفة عصر الأنوار، وإلى أعجابه الكبير بعدة شخصيات علمية أوروبية وتركية وبربرية، مقابل قلّة اهتمامه بكلّ ما يتصل بالحضارة العربية الإسلامية ورموزها وهو أمر معروف عنه من قبل.

وتناولت الكاتبة في الفصل الثاني من هذا الباب : «الدولة الوطنية وتحديث المؤسسات» تعرضت فيه إلى ما أحدثه بورقيبة من تغييرات طالت مجلة الأحوال الشخصية والقضاء والتعليم ونظام الأحباس والأوقاف واحداث خطة مفتي الجمهورية.

ويلمس المتابع للتحليل اقتناع الكاتبة

بالتمشي الذي توخاه بورقيبة في هذه التغييرات، إلى حدّ المغالاة أحيانا، ملاحظة في الأثناء أن الرجل كان متأثّرا فيما قام به بعوامل ذاتية عائلية، وأخرى ناتجة عن طبيعة تكوينه الثقافي، إذ ترى مثلا أنه كان مستحضرا لوالدته في ذهنه، عندما أقدم عن سنّ مجلة الأحوال الشخصية، وأنه كان تحت مفعول عدائه للزيتونيين ونقمته عليهم، عندما ألغى مؤسسات التعليم الزيتوني، وأقصى إطاراته، وأغلق باب الجامعة في وجوههم، وجعلها حكرا على الوافدين من جامعة السربون فحسب، مشيرة إلى أن كلّ ذلك بسبب ميلهم إلى غريمه وخصمه اللدّود الزعيم الشهيد صالح بن يوسف، الذي كان يرفع شعار العروبة والإسلام ضدّ الفرنسة والتغريب.

أما الباب الثاني، الذي كان له نصيب الأسد من الكتاب، فقد تركّز حول «المسألة الدينيّة من خلال تحليل مضمون الخطاب السياسي الرسمي في تونس» وقسمته الكاتبة إلى ثلاثة فصول، حللت في أولها : «مظاهر العلمنة في خطاب بورقيبة» وقد استغرق هذا الفصل أكثر من ثلثي الباب، حرصت فيه آمال موسى على اخضاع الفاعل السياسي وخطبه ومواقفه إلى التشريح العلماني، وهو منحى جديد في التعاطي مع شخصية بورقيبة، يظهر بوضوح نزوع الكاتبة إلى إعطاء بحثها صبغة علمية ذات مواصفات غربية بحتة، لذا كنّا نراها لا تكاد تخطو خطوة إلاّ وماكس فيبر إلى جانبها بقنديله ونظرياته ومقولاته.

وفي نفس السياق بيّنت الكاتبة كيف كانت علمنة بورقيبة كلية حينا، وجزئية حينا آخر، تبعا لهجومه المعلن على الدين الاسلامي ورموزه طورا، أو دفاعه عنه، ومزايدته على الانتماء اليه طورا آخر، ولكن في حوار الكاتبة مع بعض وزراء بورقيبة، نجد أنّ أغلبهم يميل الى الاعتقاد بأنّ الرجل لم يكن يتّبع إيديولوجية محددة مثل العلمنة، ولم يكن يخضع لمنظومة فكرية معينة مثل الاشتراكية، وإنّما كان يتصرّف بمحض ما تمليه عليه مصلحته الظرفية، غير أنّ آمال موسى أبدت مع ذلك اقتناعها بأن بورقيبة كان متشبثا بالعقلانية الغربية وبالعلمنة، وإن رجوعه الظاهر إلى الله وإلى الدين، ما كان إلا بهدف توظيفه وفق رؤيته العلمانية للدنيا والواقع وتحديث الدولة، ونفهم من سياق البحث ومضمونه أنّ الكاتبة تبرر هذه القناعة، على أساس أنّ الزعيم بورقيبة لم يتحوّل إلى الدفاع عن الدين إلاّ بعد فشله في سياسته الاشتراكية وفي التعاضد، وبعد ظهور تيار الاتجاه الاسلامي المناهض له، ولم يكن تحوّلا تلقائيا وعن اقتناع روحي، ولا سيما أنّ أحد محاوريها (محمد مزالي) يؤكد أنه لم يلمس من خلال محادثاته مع بورقيبة أنه كان مؤمنا.

ورغم ما أظهرته الكاتبة في غالب الأحيان من تفهّم لما كان يقوم به الفاعل السياسي من

توظيف علماني للدين ورجاله، فإنها لم تسايره على طول الخط في هذا التوظيف، وخصوصا عند إفراطه فيه سواء عندما رفض الشيخ عبد الرحمان خليف إمام القيروان الانصياع لتعليماته المتعارضة مع الدين، وإصداره لكتاب يكفّر فيه من يفطر عمدا، رداً على دعوة بورقيبة إلى الإفطار في رمضان، وتعرّضه في سبيل غيرته على الإسلام إلى القمع والاضطهاد، أو عندما رفض الشيخ عبد العزيز جعيط في تونس الإفتاء بجواز الإفطار في رمضان، فكان مصيره الإقالة والإحالة قسرا على التقاعد، بل ذهبت الكاتبة إلى حدّ تقديم شهادات تاريخية، تثبت مغالاة الفاعل السياسي في تسخير الدين لتشويه صورة خصومه من رجال الشرع في عيون الجماهير، حيث تقول في الصفحة 212 : «إنّ الزعم بأنّ رجال الشرع أعلنوا أنّ المتجنسين بالجنسية الفرنسية لا يخرجون عن حضيرة الأمة الإسلامية، بقيت دون وجود أيّ وثيقة رسمية تثبتها، بل إنّ تقريرا رسميا مؤرخا في 29 أفريل 1933، وموجه من المدير العام الفرنسي بتونس «منصورون» إلى وزير الخارجية بباريس، يفندها ويؤكد أن رجال الشرع لم يبيحوا دفن المتجنسين في مقبرة المسلمين».

ولا بدّ من الإشارة في أعقاب متابعة : بورقيبة والمسألة الدينية في الباب الثاني والأخير من الكتاب بأنّ آمال موسى وفّقت - حسب اعتقادي - في إثارة فضولنا، وإغرائنا بمتابعة أدقّ تفاصيل هذا الباب، بفضل ما أضفته عليه من طرافة وحيوية، وما اتحفتنا به من شهادات حية، أدلى بها ثلّة من وزراء بورقيبة المرموقين أثناء حوارها المعمّق معهم.

ولا نبالغ إذا اعتبرنا أنّ ما دار في هذا الباب من نقاش، ومن سؤال وجواب، بين الكاتبة وكلّ من محمد مزالي، ومحمد الصياح والشاذلي العياري وفتحية مزالي، قد جسّم اضافة تاريخية ولبنة علمية جديدة من شأنها إثراء الذاكرة الوطنية، وانعاشها بحقائق وكشف عن خلفيات، كانت من قبل طي الكتمان وحديث الخواص، ولا سيما فيما يتصل منها بالصراع المرير وغير المتكافىء بين المحافظين على هوية البلاد وخصوصيتها العربية الإسلامية وعلاقتها بمحيطها الطبيعي المغاربي والعربي والإسلامي، وبين من بيدهم صنع القرار من الموغلين في التمسك باهداف العقلنة الفرنسية والغربية والممعنين في الانبهار بالمحتل الراحل ورموزه، ممّن قال فيهم أحد المتحاورين مع صاحبة الكتاب : «إنهم ضحايا الاستعمار الفرنسي».

ورغم أنّ هذا الكتاب يجسم دون شك لبنة ثقافية جديدة وقراءة نسائية أولى لشخصية الزعيم الراحل الحبيب بورقيبة، فإنّي أودّ إبداء بعض الملاحظات حول منهجية البحث وصياغته.

أولا : غلو الكاتبة في التلبس بالعلمانية وبالعقلانية الغربيّة

وتمثل هذا الغلو في اعتمادها المفرط على هذه العقلانية واتخاذها الأداة الأساسية والوحيدة لإسقاط الأحكام والتقييمات على المجتمع التونسي، ولتبرير مختلف مواقف صانع القرار فيه، انطلاقا من التوطئة التي تقول فيها : «ذلك أنّ التقدم هو الإيمان بالقومية وبالعلمانية والعقلانية وإقصاء الدين والتفسيرات الغيبيّة عن واقع العلاقات والتعاملات الاجتماعية والاقتصادية ص 8». وتبعا لهذا التصميم نرى الكاتبة تتوكأ على قائمة طويلة من رموز العلمانية والعقلانية الغربية، يتقدمهم ماكس فيبر عالم الاجتماع الألماني الذي لا يكاد يغيب عن أيّ محور من محاور الكتاب، متخذة مقولاتهم ونظرياتهم وكأنها مسلمات.

وهنا برزت الإشكالية التي تجسمت في تطويع الكاتبة للبيئة التونسية ذات الأرضية العربية الإسلامية منذ آلاف السنين، وتطويع حاكمها المولود من رحمها، ليخضع كل منهما للتشريح الغربي ومفهومه للتجديد والحداثة، من وجهة نظر واحدة، يهيمن عليها ماكس فيبر لا بعقلانيته الغربية فحسب، بل حتى بعقلانيته المسيحية كما نرى فيما يلي :

- نلاحظ مثلا عند حديثها عن إطاحة بورقيبة بمؤسسات التعليم الزيتوني، في إطار سياسة التحديث والعصرنة، أنها تجد السند الشرعي والمبرّر المنطقي عند ماكس فيبر الذي يقول : «إنّ التوجه العلماني يستوجب هدم مؤسسة التعليم الديني. تفاديا مسبقا لنشوء توتر بين الدين والمعرفة العلمية التي تزيل أوهام العالم ص 73». في حين أن الكاتبة تعلم أن هدم المؤسسة الزيتونية على يد بورقيبة كان لعوامل ذاتية وشخصية قبل كل شيء، ناتجة عن غضبه وسخطه على الزيتونيين الذين انحازوا لخصمه اللّدود الشهيد صالح بن يوسف، للأسباب المعلومة كما تقدم. والكاتبة تعلم أيضا أن بورقيبة هدم كذلك خطة التعريب، وهدم شعبة (أ) المعربّة، ولا علاقة لذلك بالدين ولا بالعلمانية ولا بالعقلانية الغربية، وانما هو موقف شخصي لبورقيبة منذ رجوعه من القاهرة، بعد اقامته فيها لمدة ثلاث سنوات، قبل الاستقلال.

والكاتبة فوق ذلك تعلم أن ماكس فيبر يغالطها ويغالط نفسه، فأوروبا لم تهدم مؤسساتها التعليمية الدينية مثل السوربون وأكسفورد وكمبريدج، وانما ازدادت صيانة لها وتوسيعا لمشمولاتها، وطوّرت إشعاعها منذ عصر الأنوار، وما زال مؤسسو هذه المعاقل الدينية في فرنسا وبريطانيا محل تقدير مثل روبار سوربون وجون كابل وهنري نيومن. ونتساءل هنا كيف تستسلم الكاتبة دون اكتراث لعملية هدم هذه المؤسسة الزيتونية العريقة وتجد لها مبررًا، وهي تعلم من تخرّج منها من علماء ومصلحين ومبدعين وسياسيين في تونس والمغرب العربي، وهي تعلم أهميتها ودورها بالنسبة إلى التراث

والعلوم النقليّة والعقليّة حيث قال فيها الشاعر جعفر ماجد معدّدا مناقبها في قصيد طويل عند الاحتفال بمرور ثلاثة عشر قرنا على تأسيسها :

تلك زيتونة يجللها الوحـــي

زكت منبرا وفاءت ظـــــلالا

فابن خلدون واحد من بنيها

اطلعت بين النجوم هـــلالا

لغة الضاد أينعت في حماها

ورواها القرآن سحرا حلالا

- وفي موضوع آخر، وعند حديث الكاتبة عن قيام بورقيبة بالغاء الأحباس والأوقاف، بادرت أيضا إلى تزكية القرار، واعتبرته من قبيل حرص الفاعل السياسي على المصلحة العامة، وجاءت مجدّدا بماكس فيبر ليفتي ويبرّر هذا القرار، على أساس ما جاء في دراسته للأخلاق الاقتصادية للأديان العالمية، قائلا : «إنّ النموذج المثالي للحوافز النفسية النابعة من الدين الإسلامي، يعتبر مقارنة بالنموذج المثالي للبروتستانية معارضا لمشروع العقلنة ص 78».

ونرى أن آمال موسى تتجاوز مستوى الغلو في التلبس بالعقلانية الغربية، لتتلبّس كذلك بالعقلانية المسيحية للغرب، فتقبل دون نقاش موقف ماكس فيبر الطاعن في الدين الاسلامي، ونفي العقلانية عنه، كما يفهم بوضوح من مقولته. وتتناقض الكاتبة مع نفسها، ومع الخطّ الذي رسمته في التوطئة من التزام بالعلمانية وإقصاء الدين.

ونتساءل باستغراب عن الداعي لوقوع الكاتبة في هذا التناقض ومجاراتها لعالم الاجتماع الألماني دون أي ردّ فعل، ووقوعها في استفزاز قرائها والإخلال بموضوعية البحث العلمي؟

- ومرّة أخرى، وعند إثارة الكاتبة لمسألة قيام بورقيبة بإباحة الربا وعقلنة العمل الاجتماعي والترشيد المادي، تحيلنا مجددا على مرجعية ماكس فيبر ليؤكد لنا : «أنّ العقلنة سمة تختص بها الحضارة الغربية، وأنّ العقلنة البروتستانية شكّلت مصادر عقلنة الواقع المعيش، فاسهما في تكوين الروح الرأسمالية (ص 132)».

ونلاحظ هنا استمرار الكاتبة في صمتها أمام إقرار ماكس فيبر بأن حضارته الغربية وديانته المسيحية، يملكان وحدهما العقلانية، ويتكرّر استشهادها بهذا الرجل المرجع، دون أن تشير من قريب أو بعيد إلى أنّ الغربيين أنفسهم رفضوا فهم فيبر السطحي والتبسيطي للديانة الإسلامية مثل عالم الاجتماع البريطاني بريان تورنر.

- وفي ما يخص غلو الكاتبة في التلبس بالعقلانية الغربية، تعرضّت لجواز استعمال بورقيبة للعنف المادي ضد خصومه ومعارضيه، دون أن تشير إلى أمثلة معيّنة مثل ما وقع للزعيم صالح بن يوسف وغيره، مستحضرة مجددا إمام العقلانيين ماكس

فيبر، فتقول : «إنّ بصمات هيقل قائمة الذات في نظرية بورقيبة حول الدول، فإنّ هذه النظرية تتضمن كذلك بعض ملامح الدولة «الفيبرية» التي تتبنّى مفهوم ماكس فيبر في الدولة الذي يلح على أداة العنف المشروع كأهم خصائص الدولة في مفهومها الحديث وحقها في الاستئثار بهذه الأداة ص (153)».

ونرى ان الكاتبة تمسك عن التدخل والتحليل لهذه المسألة الحساسة، وعن علاقتها ببناء الدولة العصرية وتحديثها، كما تقتضي ذلك طبيعة البحث العلمي، وتمسك أيضا عن الإشارة إلى مغبة استفحال ظاهرة الاستبداد بالرأي وغياب الحوار وإقصاء مكونات المجتمع المدني، وتفشي منطق الحكم المطلق، وما ينتج عن ذلك من أزمات، مثل الأحداث النقابية في 1978 وواقعة قفصة 1980، وانتفاضة الخبز 1984، وطرد ثلاثة آلاف عامل من ليبيا 1985، وتفجّر التيار الإسلامي قبيل تحول 1987.

وإذا كان من تعقيب عن غلو آمال موسى في الانبهار بالعقلانية الغربية، فإني أخيّر إحالتها على الدكتور يوسف الصديق المقيم بديار الغرب في باريس، لتتأمّل فيما قاله أثناء حوار مطوّل له مع الصحفي محمد بن رجب في جريدة الصباح الصادرة بتاريخ 27 أوت 2006 (ص 21) : «أمّا أولئك الذين يقولون بأنّ العرب والمسلمين غير عقلانيين ويدعون إلى العقل، فأقول لهم : أنتم تنقصكم ثورة كانطية، إن الفيلسوف كانط يقول : «العقل محل بلبلة وخلط»، ولو قرأتم «نقد العقل المحض» لفهمتم أن العقل محل انفراط».

ثانيا : الانحياز لشخصية الفاعل السياسي :

يلمس المتابع لمراحل البحث في هذا الكتاب أن صاحبته سعت إلى وضع كل ما يصدر عن بورقيبة تحت شعار «التحديث والتعصير والنهوض بالمجتمع»، حتى عندما يقع بورقيبة في التراجعات والتناقضات ترى أن ذلك من «قبيل التكتيك السياسي المرحلي» وهي وإن بدت غير مسايرة له في بعض المواقف كما في قضية تلفيق تهمة الإفتاء بجواز التجنس لرجال الشرع فلكي تخفّف من وطأة هذا الانحياز. كما ظهر التماهي والتجاوب مع الفاعل السياسي في اقتصار الكاتبة على الحوار مع عدد معين من وزراء بورقيبة الذين - وإن كان بينه وبين البعض منهم خلاف ما - يبقون جميعا في خانة المحسوبين على حاشيته والضالعين في سياسته، وكانت الفرصة مواتية ليتّسع الحوار حتى يشمل بعض معارضيه، ليقدموا بدورهم قراءتهم لثلاثة عقود من الحكم المطلق في ظلّ الرئاسة مدى الحياة، ولا سيما أن الرجل أصبح بعد رحيله بعدة سنوات ظاهرة تاريخية، تستحق النظر والتحقيق على رأي ابن خلدون.

ثالثا : عدم تنويع المرجعية

ظهر جليّا من خلال ما تقدم أن الكاتبة آمال

موسى اكتفت بكوكبة من رموز العلمانية والعقلانية الغربية، وعلى رأسهم ماكس فيبر، ممن يجمع بينهم التعاطي السلبي مع العقلانية العربية والديانة الإسلامية، وكان من المفروض أن توسع آمال موسى دائرة المرجعية لتشمل بعض الشخصيات العربية والغربية، التي لها رؤية مغايرة، تتميّز بكونها عميقة الفهم لواقع المجتمع العربي الإسلامي الذي تنتمي اليه تونس ثقافيا واجتماعيا ودينيا، مثل ادوارد سعيد وهشام جعيط ومكسيم رودنسون وبريان تورنر، الذين نبهوا إلى اشكالية الخلط بين الإسلام الصحيح المستنير والإسلام الشعبي المرصع ببعض الأساطير، والإسلام المحرّف الذي سوّقه غالبية المستشرقين، اضافة إلى تأكيد هشام جعيط في كتابه : «أوروبا والإسلام صدام الثقافة والحداثة»: «إن رموز العقلانية الغربية ومستشرقيها جرحوا باسم العلم وبشكل فجّ واقتحامي وحاقد الهويّة العربية الإسلاميّة».

رابعا : تعدّد الأخطاء

تعدّدت الأخطاء وتنوعت في هذا الكتاب «بورقيبة والمسألة الدينية» حيث يقف القارىء على أخطاء لغويّة ونحوية وتركيبية كثيرة (ص 21 - ص 40 - ص 58 - ص 66 - ص 77 ثمّ من ص 114 إلى ص 118). وفي غيرها من الصفحات الأخرى كما تواترت أيضا إلى جانب الأخطاء المتعلقة بالصياغة أخطاء في استعمال الأبجدية وفي الاحالة على المراجع .

الشعـر والتصـوف

بقلم : د. علي القاسمي*

العلاقة بين الشّعر والتصوف :

إن ظاهرة العلاقة ين الشعر والتصوف ملفتة للنظر، لا لأن القصيدة الصوفية التقليدية هي فرع أصيل من شجرة الشعر العربي فحسب، بل كذلك لأن أعلام الشعر العربي الحديث كالبياتي وأدونيس وصلاح عبد الصبور ينحون في بعض أشعارهم منحى صوفيا، تجربة أو استلهاما. ولا يقتصر الأمر على الشعر، وانما يمتد أيضا إلى الرواية، كما هو الحال لدى الروائي جمال الغيطاني في روايته «التجليات»، مثلا.

تحديد الشعر الصوفي :

تنقسم الدراسات النقدية التي تتناول هذه الظاهرة وترمي إلى تحديد الشعر الصوفي إلى قسمين :

الأول : يرمي إلى ابراز تجليات المفاهيم والإشارات الصوفية في العبارة الشعرية(1).

الثاني : التوسّع في مفهوم التصوف ليغطي جميع التجارب الشعرية الوجدانية والرومانسية(2).

ولا يسلم هذان التوجهان من بعض المزالق التي سنبيّنها في هذه الدراسة.

* د. علي القاسمي : كاتب عراقي يقيم في المغرب

الإشارات الصوفية في العبارة الشعرية :

في القسم الأول، يبحث الناقد عن المصطلحات الصوفية في القصيدة ليعدها قصيدة صوفية أو ذات حمولة ذوقية أو ذات ومضات عرفانية. والمصطلحات الصوفية مبثوثة في كتب المتصوفة أو مجموعة في معاجم التصوف مثل معاجم عبد الرزاق الكاشاني(3) أو معجم الشيخ محي الدين بن عربي(4) أوْ معاجم التصوف الحديثة(5). ومن المصطلحات الصوفية المشهورة من حرف الحاء مثلا : الحال، الحجاب، الحدس، الحرية، الحق، الحلول، الخ.. فإذا وجد الناقد عددا من هذه المصطلحات الصوفية في قصيدة ما، قد يستنتج وجود تجليات صوفية في تلك القصيدة.

يقول أحد الباحثين :

«في تاريخ الشعر العربي، ومنذ لحظاته الانبثاقية الأولى، تجلت بذور الحدس الصوفي عبر تجذّر أواصر الصوغ الشعري بذات قائله.

يقول الحارث بن حلزة اليكشري :

فحبست فيها الركب أحدس، في
كلّ الأمور، وكنت ذا حدس(6)

فالباحث هنا يحكم بصوفية الشاعر أو بوجود ومضات صوفية في قصيدته بدليل استخدامه

المصطلح «الحدس»، وهو مصطلح صوفي مشهور.

ولكن دراسة متأنية لتاريخ هذا اللفظ تقودنا إلى استنتاج مخالف. فكلمة «الحدس» كانت شائعة في الشعر الجاهلي بمعنى «الظن والتخمين». والشاعر هنا أراد أن يقول إنه يقف على أطلال الأحبة فيسترسل في التخميس في مصيرهم وما آلوا اليه. وقد وردت هذه الكلمة لدى شعراء آخرين بهذا المعنى وهم يقفون على الأطلال، كقول أحدهم:

تبدّل أدمـــــان الظبـــاء وحيرما

وأصبحت في أطلالها اليـــوم جالسا

بمعترك شطّ الحـــــــبيّا ترى به

من القوم، محدوسا وآخـــر حـادسا

فالحدس هو التخمين أو الظنّ، والظنّ الصائب هو نوع من الذكاء، والتظنّي هو إعمال الظنّ.

ويقول المتنبي وهو يصف ممدوحه بالذكاء:

ذكـــــيّ تظنّيه طليعة عينه

يرى اليوم ما ترى عينه غـدا

ولم يستخدم لفظ «الحدس» كمصطلح فلسفي في اللغة العربية إلا في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، عندما تحدث الرئيس الحسين ابن سينا (370-428هـ/ 980-1037م) عن المعرفة الحدسية التي تحصل في الذهن دفعة واحدة دونما انتقال من مقدمات إلى نتائج، ودونما وعي للعمل الذي تقوم به الحواس. وفي القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، جاء الإمام أبو حامد الغزالي (450-505هـ/1058-1111م) و«أضاف إلى المعرفة الحدسية بعدا صوفيا حين جعلها نوعا من الإلهام الذي يمنّ به اللّه على الإنسان بعد ترقيّه في معارج التصوف، فهي بذلك كشف وعرفان يربط الإنسان بالحقيقة دفعة واحدة»(7).

فلفظ «الحدس» في العصر الجاهلي لم يستعمل في مدلوله الصوفي الذي نعرفه اليوم، و «الحدس» الذي ورد في بيت الحارث بن حلزة اليشكري يعني تفكير الشاعر في أحبابه وتذكرهم بعد أن رأى أطلالهم. فالمكان المحسوس بالبصر أطلق البصيرة لرؤية أحداث الماضي وشخوصه، وهذه نتيجة طبيعية لترابط المكان والزمان في الوجود. وهذا المعنى كرره الشعراء، بل زادوا فيه وحسنوه، ومنه قول الشريف الرضي:

وقد مررت على ديارهـــم

وطلولها بيد البلى نهــب

فوقفت حتى ضجّ من لغب

نضوي، ولجّ بعذلي الركب

وتلفتت عيني، فمذ خفيت

عنها الطلول تلفت القلــب

إذن، حتى بعد أن غادر الشريف الرضي الطلول مع بقية الركب وابتعد عنها ولم يعد يراها بعينيه، أخذ يراها بقلبه، فهل بامكاننا أن نعدّ هذه المعرفة القلبية معرفة صوفية عرفانية؟ على الرغ من أن الشريف الرضي أقرب إلى التصوف وعصره من الحارث بن حلزّة

البشكري؟

إن بيت البشكري ليس وليد تجربة صوفية وإنما نتاج معاناة وجدانية صادقة. .ما جعل الباحث يعدّ لفظ «الحدس» في قصيدة جاهلية مصطلحا صوفيا هو عدم وجود معجم تاريخي للغة العربية يبيّن تطوّر دلالات الألفاظ عبر عصور اللغة.

التوسّع في مفهوم التصوّف :

وإذا كان القسم الأول من رؤية النقد للعلاقة بين الشعر والتصوف لا يثير إشكالا جوهريا، لأن منهجه وصفي شكلي، فإن القسم الثاني يثير جدلا حادا بين من يميل إلى قبوله وبين من يصرّ على رفضه وتفنيده. لأنه يستند إلى مفهومي الشعر والتصوف وهما مفهومان زئبقيان.

في عام 1937، تقدم الدكتور زكي مبارك إلى جامعة فؤاد الأول في القاهرة بأطروحة لنيل دكتوراه ثانية في الآداب، موضوعها «التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق». وكان قد حاز من الجامعة ذاتها على دكتوراه في الفلسفة عن أطروحة موضوعها «الأخلاق عند الغزالي». وكان أساتذته الذين اشتركوا في مناقشة أطروحته الثانية هم أعلام الفكر في جامعة فؤاد الأول ومفي مقدمتهم الدكتور مصطفى عبد الرازق، والدكتور منصور فهمي، والدكتور عبد الوهاب عزام، والأستاذ شفيق غربال.

كانت الجذوة التي أوقدت فكرة الأطروحة في روع الدكتور زكي مبارك هي دروس المستشرق الفرنسي البروفيسور ماسينيون التي كان يلقيها في الكوليج دي فرانس في باريس حول العلاقة بين التصوف والحب الرقيق. وكان الدكتور زكي مبارك قد حضر هذه الدروس بانتظام وشغف بها.

وإذا كان البروفيسور ماسينيون قد تحدث في دروسه عن وجود علاقة أو نقاط تشابه بين التصوف والحب الرقيق، فإن الدكتور زكي مبارك قد حمل هذه الفرضية إلى نهاية الشوط، أي إلى نهايتها القصوى، ليذهب في أطروحته الثانية إلى أن الحب الرقيق هو تصوف خالص.

وهكذا، فإن الدكتور زكي مبارك يعدّ جميل بثينة ومجنون ليلى وابن الدمينة من أقدم الصوفية وأطولهم باعا في الزهد. فهو يأتي بقول جميل بثينة:

وإني لأرضى من بثـــــينة بالذي
لو أبصره الواشي لقرّت بـــــلابله
بلا، وبأن لا أستطيع وبالمـــــــنى
وبالأمل المرجوّ، قد خاب آمـــلـــه
وبالنظرة العجلى وبالحول تنــــقضي
أواخــــــره لا نلتـــقي وأوائــــله

فيعلّق الدكنور زكي مبـارك على هــذه الأبيـات قائلا :

«فهذا» «الزهد» في الوصل تصوّف، وإن لم يذكر صاحبه بين أسماء الصوفية، وإنما كان الزهد تصوفا، لأنه من دلائل الصدق وقوة

العلاقة الروحية».

ثم يضيف الدكتور زكي مبارك قائلا :

«وهل يمتري أحد في روح التصوف، حين يقرأ هذا الشعر المنسوب إلى قيس بن الملوح :

وأحبس عنك النفس والنفس صبّة
بذكراك والممشى إليك قريب
مخافة أن يسعى الوشاة بظنّة
وأحرسكم أن يستريب مريب...

فما رأيكم في هذا «التوحيد» في الحب؟ ألا ترونه من التصوف؟ فإن لم يكن هذا الترفّق تصوفا فما عساه أن يكون؟.

ثم يمضي الدكتور زكي مبارك في حشد الأمثلة لـتـعـزيـز رأيـه، فيقـول :

«وهل تذكرون ابن الدمينة؟ إن ذلك الشاعر لمن أقدم الصوفية في عالم الحب، ومع ذلك، لم أجد من تنبّه إلى ما في شعره من نفحات التصوف، وكيف ينكر صفاء الروح على من يـقـول :

وأني لأستحييك حتى كأنمـا
عليّ بظهر الغيب منك رقيـب
ولو أن ما بي بالحصا، فلق الحصـ
ـصا وبالريح لم يسمع لهن هبـوب
ولو أنني أستـغـفر الله كـلمّا
ذكرتك، لم تكتب عليّ ذنـوب..(8)

إن الذي جعل الدكتور زكي مبارك يمضي في طريق فرضيته إلى آخر الشوط، هو عدم وجود تعريف محدّد للتصوف، لأنه كما قال الإمام حامد الغزالي : «أمر باطن لا يطلّع عليه، ولا يمكن ضبط الحكم بحقيقته..» ويرى الدكتور عبد المجيد الصغير أن الصوفية عرّفوا التصوف بعبارات تتسم بالعمومية والغموض وأحيانا التناقض، لإثبات مرجعية سلطتهم العليا داخل الثقافة الإسلامية والمجتمع الإسلامي أيضا (9)، مثل تعريف الطوسي للتصوّف بوصفة «اسما مجملا هاما مخبرا عن جميع العلوم والأعمال والأخلاق»(10)، أو مثل ما ورد في الرسالة القشيرية من تعريف للتصوّف بأنه «ذكر مع اجتماع، ووجْد مع استماع، وعمل مع اتباع»(11) وهو تعريف يجمع بين المتناقضات. ويرى بعضهم الآخر أن القصد من عمومية تعريف أهل التصوف لطريقتهم وغموضه هو إخفاء أسرار الطريقة على المناوئين من الفقهاء وغيرهم، وهذا ما ألمح إليه الكلاباذي عندما أورد الاعتراض الكلامي على التصوف : «ما بالكم، أيها المتصوفة، اشتققتم ألفاظا، أغربتم بها على السامعين، وخرجتم عن اللسان المعتاد. هل هـذا إلا طـلـب للتمويه أو سـتـر لعـوار المـذهـب»(12).

ومهما يكن السبب وراء عمومية تعريف التصوّف وغموضه، فإن تلك العمومية وذلك الغموض يسرت للدكتور زكي مبارك أن يصوغ نعريفا جامعا غير مانع للتصوف مفاده أن «التصوّف كل هلّ عاطفة صادقة، متينة الأواصر، قوية الأصول، لا يساورها ضعف، ولا يطمع فيها ارتياب». وعدّ تعريفه هذا قريبا

من قول أبي علي الروذباري : «التصوّف الإناخة على باب الحبيب، وإن طرد عنه»(13). ويتصدى الدكتور زكي مبارك لشرح تعريفه الذي لا تخفى على القارىء عموميته وضبابيته، فيقول :

«إن التصوّف خليق بأن يصحب كل نزعة شريفة من النزعات الوجدانية والأساس أن يكمل الصدق ويسود الإخلاص، بحيث لا تملك النفس أن تنصرف عما آمنت به واطمأنت إليه، في عالم المعاني، وكذلك ينمثّل التصوّف في صور كثيرة : فيكون في الحبّ، وفي الولاء، ويكون في السياسة حين يقوم على مبادىء تتصل بالروح والوجدان»(14).

من هنا يتضح لنا أن مفهوم زكي مبارك للتصوف يقوم على خاصيتين الأولى : نزعة وجدانية، والثانية : صفة الإخلاص التي تصبغها، مهما كان ميدان هذه النزعة أو غايتها ما دامت تتصل بالروح والوجدان وتتسم بالصدق. فكل عاطفة صادقة مبعثها الحب، أو المودة، أو الصداقة، أو الوفاء، أو الولاء، أو الحزن، هي تصوّف، في نظره، حتى أنه عدّ قصيدة البحتري في رثاء الخليفة المتوكل الذي دسّ له ولده المنتصر من يقتله وهو في مجلس شراب - عدّها من شعر التصوّف، لأن البحتري وإخلاصه للمتوكل تغلب على خوفه من انتقام القتلة(15).

وفي ظني أن اهتمام الدكتور زكي مبارك في «الأخلاق»، وهو اهتمام يتجسدّ في أطروحته للدكتوراه، جعله يربط التصوف بالأخلاق من حيث الأساس، وهو منحى معروف في التصوف، ولكن زكي مبارك عمّمه على جميع التجارب الوجدانية، فاعتبرها صوفية إذا كان لها أساس من الأخلاق الكريمة.

ولا يظن القارىء أنّ هذه المبالغة أو ذلك التعميم في مفهوم التصوف هو من شطحات الدكتور زكي مبارك. فبعد مرور أكثر من ثمانين عاما نجد أطروحة دكتوراه في المغرب تعدّ الشعر الذي مبعثه تجربة وجدانية صادقة هو من شعر التصوف. ففرضية الدكتور محمد الشدادي في أطروحته الموسومة بـ«القصيدة الصوفية في المغرب» هي شديدة الشبه بفرضية الدكتور زكي مبارك، فكل قصيدة تنزع إلى المطلق هي قصيدة صوفية في نظره، وأي شاعر يولع بالغامض والمجهول هو متصوف في رأيه. ويلخّص الشدادي فرضيته في بداية أطروحته بقوله :

«وتتمثل تلك الفرضية في امكانية توسيع مفهوم القصيدة الصوفية ليشمل كل الممارسات الشعرية المنحازة إلى المطلق الذي يماثل مركزية الإلهية بنحو ما يناظر مركزية الإنسانية»(16).

فالتجربة الشعرية، في هذه الفرضية، حالة روحية كلّية غير قابلة للتجزئة، بحيث لا يمكن الفصل بين المفهوم والمصطلح. ولهذا فإن ذلك الباحث يرى ومضات صوفية وإشراقات عرفانية في كل قصيدة وجدانية. ويعود

الباحث بعد قليل ليؤكد هذه الفرضية بقوله : «على أن في ارتباط الشاعر بالغامض، ومراودته العصي، وشغفه بالمجهول، ما يجعله متصوفا في محراب الحياة، ينفصل عن ظاهرها ليؤكد اتصاله بباطنها»(17).

وهكذا فإن خصائص القصيدة الصوفية في رأي الشدادي أربع :

- تجربة باطنية صادقة،
- شعور بألم المعاناة،
- التجوال في مناطق قصية،
- اكتشاف المجهول برؤية تغوص في الأعماق.

ونلاحظ أن عمومية التعابير والألفاظ في هذه الفرضية يذكّرنا بعمومية تعريف التصوف لدى الدكتور زكي مبارك، الذي كان يكتفي بالخاصيتين الأولى والثانية، أي العاطفة الصادقة الناتجة عن معاناة حقيقية، على حين أضاف الشدادي وجوب أن تغوص تلك التجربة في الأعماق وتنزع إلى المطلق، وهاتان الخاصيتان هما من خصائص الرومانسية.

إن هذا التوسع في مفهوم القصيدة الصوفية هو الذي جعل الدكتور الشدادي يعدّ كثيرا من القصائد التي تناولت المكان أو الزمان أو التأمل في النفس الإنسانية أو في الطبيعة هي قصائد صوفية وأصحابها شعراء متصوفة، خاصة إذا اشتملت هذه القصائد على مصطلحات صوفية، مثل بعض قصائد الشاعرة وفاء العمراني في مجموعتها الشعرية «فتنة الأقاصي» التي عدّها الدكتور الشدادي من شعر التصوف(18).

وهنا يتساءل المرء ما إذا كان الباحث مضطرا إلى أن يعدّ كل قصيدة حبّ ناتجة عن عاطفة صادقة عفيفة وتجربة وجدانية تغوص في الأعماق، قصيدة صوفية، وهكذا يدخل في التصوف جميع شعراء الحب العذري وكثير من الشعراء الرومانسيين؟

إن شاعرا باحثا، مثل فاروق شوشة، استطاع أن يميّز بين نوعين من الشعر الوجداني الذي تصوغه التجربة الإنسانية العميقة، وتكلّله القيم الخلقية النبيلة، ويتعدى حدود المكان والزمان، الأول الحب العذري والثاني الحب الإلهي. فإذا كانت علاقة الحبّ تربط الشاعر بإنسان وتتسم بالتعفف والتضحية بالنفس من أجل الحبيب فهو حبّ عذري. أما إذا كان الحبّ يتوخّى الذات الألهية فالقصيدة التي تصوّر ذلك الحب هي في عداد شعر المتصوفة.

ولهذا فإن فاروق شوشة أفرد كتابا لقصائد الحبّ، سواء أكان حب اللهو والمجون أو حب العفة والإخلاص، أسماه «أحلى 20 قصيدة حبّ في الشعر العربي»(19)، وكتابا آخر أسماه «أحلى 20 قصيدة حبّ في الحبّ الإلهي»(20) مخصص لأنغام وترانيم والحان تطهّر بها العشاق الكبار من الشعراء الذين تمتلىء نفوسهم «بأقباس من النورانية وتفيض العيون بدموع الندم والخشية والتوبة، وتعمر القلوب بوشائج المحبة

الدائمة، ومقامات العشق، وينسكب هذا كله في النهاية شعرا فيفيض بالصدق ويعمر باليقين والمحبة والإيمان»(21).

ورأى الشاعر فاروق شوشة رأي جدير بالتقدير لأنه يحل عقدة من عقد المشكلة. غير أن السؤال يثار حول الشعر الذي كتبه بعض أقطاب الصوفية في حبّ الرسول محمد (صلعم). فهل نعدّ هذا من الشعر الصوفي، على الرغم من أنه لا يتوجه إلى الذات الإلهية، أم لا؟ فكتاب «المعسول» للمرحوم العلامة محمد المختار السويسي يورد في جزئه السابع تراجم لبعض «أشياخ الإلغيين السوسيين في التصوف والمعارف»، قصائد يسميها بـ «النبويات»، كتلك القصائد التي نظمها المرحوم الطاهر بن محمد الإيفراني في محبة الرسول (صلعم) ومدحه والتوسل به إليه. ومنها قصيدته الدالية التي يعبق منها شذى الهوى الصوفي وتزخر بمصطلحات المتصوفة:

برح الخفاء وصرّح الوجــد
وبدا الذي ما خلته يــبدو
ذكر الحمى ونزيله فتناثرت
درر الدموع وأضرم الوقــد
وجرت صبا أنفاسهم فتمايلت
أهل الهوى فكأنهم مــلــد
والمستهام وإن أبان تجلّـدا
أبدا يحنّ إذا جرى نجـد
عجبا لقلب لا يذوب إذا شـدا
حادي الحمى، ولو أنه صلد
وإذا أدار المادحون الكأس من
مدح النبي فقد بدا السعد...(22)

خلاصة واستنتاجات وحلول:

رأينا أن الاعتماد على المصطلح الصوفي واتخاذه معيارا لتحديد هوية القصيدة لا يقودنا إلى النتيجة الصحيحة، إذ قد يستلهم الشاعر الشعر الصوفي في بناء قصيدته ويضمنها المصطلحات الصوفية دون أن يكون قد مرّ بأية تجربة صوفية مطلقا ودون أن يكون قصد القصيدة أو موضوعها صوفيا، وهذا ما دعا الدكتور طه عبد الرحمان إلى وصم هذا النوع من الشعر بـ «التزييف». فقال:

«يتجلى (أي التزييف) في كون بعض الانتاجات الأدبية التي أخذت تسطو على التراث الصوفي وتخطف منه القبسات، إحساسا بجمال مبانيه الذي لا يضاهى، وبجلال معانيه الذي لا يسامى، أبى أصحابها أن يكلّفوا أنفسهم عناء الدخول في التجربة الروحية التي أثمرت هذه القبسات والإشراقات، واقعين بذلك في أشنع التناقضات إذ أنهم يدّعون طلب الصدق في التجربة الإبداعية التي يخوضون مع بقائهم على رفض التحقق الفعلي بما يغتصبون من رقائق العارفين وحقائقهم»(23).

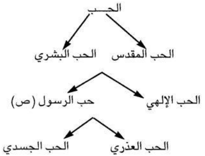
ومن ناحية أخرى، رأينا أن صعوبة التوصل إلى تعريف جامع مانع للتصوف، بسبب كونه تجربة باطنية لا يمكن الاطلاع عليها، جعلت بعض الباحثين يرتضون تعريفات فضفاضة

للتجربة الصوفية، تعريفات جامعة غير مانعة، مثل اعتبار التصوف كل عاطفة صادقة نبيلة نابعة من إحساس مخلص، ما أدى إلى ادخال كثير من القصائد الوجدانية في مصاف الشعر الصوفي وأخل بالتمييز بين الحب العذري وبين الحب الإلهي من جهة، وبالتمييز بين الشعر الرومانسي والشعر الصوفي من جهة أخرى

.وإذا كان التصوف أمر باطن لا يمكن الوقوف عليه، فإننا نرى أن الشعر الصوفي أمر ظاهر يمكن تحليله والوقوف على خصائصه. ونقترح الخصائص التالية لتدل - إذا توفرت مجتمعة في القصيدة - على انتمائها للشعر الصوفي(24).

أولا : قدسية المحبوب :

يساعدنا هذا المعيار على التفريق بين الشعر العذري والشعر الصوفي، فإذا كان الشعر العذري يتفق مع الشعر الصوفي في صدق العاطفة اتجاه المحبوب، والإخلاص له وحده، والاستعداد للتضحية بالنفيس نت أجله، والفناء فيه، فإنهما يختلفان في نوع هذا المحبوب. فالشعر العذري يتعلق بكائن بشري فان، امرأة كان أو رجلا. أما الشعر الصوفي فيتعلق بذات مقدسة وبلتحديد الذات الإلهية أو الرسول محمد (صلعم) الذي قال «لا يؤمن أحدكم حتى يحبني أكثر من نفسه». وهكذا يمكن أن نرسم شجرة الحب العربي على الوجه التالي :



ثانيا : قصدية القصيدة :

تتسم القصيدة الصوفية بقصد محدّد هو تمجيد الذات الإلهية أو مدح الرسول (صلعم)، واظهار حب الشاعر وإخلاصه وتفانيه في حبهما. أما إذا كان الغرض من القصيدة تمجيد المكان أو الزمان أو التأمل في الوجود الإنساني أو جمال الطبيعة، فهي لا تعدّ من الشعر الصوفي، بل من الشعر الرومانسي أو غير ذلك، ولكنها ليست من الشعر الصوفي بالتأكيد لاختلاف القصد.

ثالثا : اللغة الإشارية :

تعرّف اللغة للتعبير عادة بأنها «أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم»(25). بيد أن الصوفي يستخدم اللغة للتعبير عن حالاته المختلفة، وهي حالات ليست من الأغراض التي تعارف عليها القوم ولا تنتمي إلى واقعهم. فالصوفي بين حضور وغياب، بين اتصال وانفصال، بين صحو وسكر، فهو دائم التنقل بين عالم الشهادة وعالم الغيب. فإذا انفصل عن العالم الواقعي الذي نعرفه وخرج عن نفسه، وارتقى في مدارج الصعود، ودخل عالم

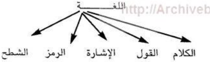
الحقيقة المطلقة، فانه لا يستطيع أن يصف تجربته تلك بلغتنا الاعتيادية الصالحة لعالمنا الواقعي التي تحكمها قواعد المنطق وقواعد النظم والبلاغة وقواعد علم الدلالة. وإذا اضطر الصوفي إلى استخدام هذه اللغة فإنه مضطر إلى تجاوز تلك القواعد وتحطيم العلاقة القائمة بين الألفاظ ومعانيها المعتادة وجعل تلك الألفاظ تشير إلى مدلولات جديدة(26). فكما تنفصل روحه عن جسده، فإن لفظه ينفصل عن معناه المتعارف عليه لتحل فيه إشارات ودلالات لم نألفها من قبل وهكذا ينتقل الخطاب الصوفي باللغة من العبارة إلى الإشارة، ولهذا قال أبو علي الروذباري: «علمنا هذا إشارة فإذا صار عبارة خفي»(27).

وإذا كان علماء اللغة يجعلون الإشارة، اللفظية أو المكتوبة، قسما يضاف إلى أقسام اللغة المعروفة : الكلام، والقول، فإن الصوفية يضيفون قسما رابعا هو الشطح. والشطح، لغة، هو الحركة، وهو ضد السكون. و «شطح في السير أو القول» تعني : تباعد واسترسال، كما في عبارة «شطح به خياله». وفي الخطاب الصوفي يكون «الشطح» الجسد اللفظي الذي تسكنه روح الكلمة ومدلولها الجديد الذي يبتعد عن المدلول المتداول، وهكذا يكون الخطاب الشطحي خطابا صوفيا مخصوصا.

ويقسّم علماء اللغة الحروف إلى حروف المعاني التي تدل على معنى في غيرها (مثل حرف الاستفهام «هل» وحرف الجر «من» الخ). وحروف المباني، وهي حروف الهجاء التي لا معنى لها بمفردها (مثل ب، ج، د، هـ، الخ). غير أن أصحاب المعرفة القلبية الذوقية يضفون اسما ومعنى على كلّ حرف من حروف المباني، فهي رموز ذات دلالات بعيدة واسعة، كما هو الحال في رمزية حرف «قاف» المشهور. يقول ابن عربي :

«إن الحروف أمة من الأمم، مخاطبون ومكلّفون، وفيها رُسل من جنسهم، ولهم أسماء من حيث هم، ولا يعرف هذا إلا أهل الكشف من طريقنا، وعلم الجروف أفصح العالم لسانا وأوضحه بيانا».(28).

وهكذا نجد أن الخطاب الصوفي أغنى اللغة العربية بالإكثار من الإشارة والرمز والشطح، ولم تعد اللغة مقتصرة على الكلام والقول، كما يرى النحويون.



رابعا : المصطلح الصوفي، مكمن الغرابة والتمويه:

تقسّم اللّغة إلى لغة عامة ولغة خاصة. فاللغة العامة هي التي يشترك في استعمالها عامة الناس. أما اللغة الخاصة فهي لغة جماعية معينة تشترك في مهنة من المهن أو مذهب من المذاهب الفكرية، كالأطباء والمهندسين والماركسيين، وأضرابهم. فتكون لغة الجماعة مطرّزة بمصطلحات معينة لا يفهمها إلا أفراد

تلك الجماعة. وللمتصوفة لغتهم الخاصة من حيث عباراتها ومصطلحاتها، بل وحتى تراكيبها. وفي هذا يقول الكلاباذي : «للقوم عبارات تفرّدوا بها، واصطلاحات فيما بينهم، لا يكاد يستعملها غيرهم»(29).

ولكن علم المصطلح يشترط في المصطلح الجيد أن يعبّر عن مفهوم واحد، وأن لا يعبّر عن المفهوم الواحد بأكثر من مصطلح واحد، «وذلك بالتخلص من الترادف والاشتراك اللفظي، وكل ما يؤدي إلى الغموض والالتباس في اللغة العلمية والتقنية»(30).

بيد أن الخطاب الصوفي يشوبه الغموض والالتباس والغرابة لسببين :

الأول : عدم وجود علاقة مستقرة بين المصطلح الصوفي ومفهومه. فمفهوم المصطلح يتفاوت بتفاوت مقامات الصوفي نفسه. ولهذا فإن المعجمي الصوفي الفذ، عبد الرزاق الكاشاني، قسّم الجزء الثاني من معجمه «اصطلاحات الصوفية» إلى عدة أقسام حسب المقامات، بحيث يكون للمصطلح الواحد مفهوما مختلفا في كل مقام من المقامات(31).

الثاني : لجوء المتصوفة إلى الغموض والتلميح وتجنّب التصريح لسبب من الأسباب التي مرّ ذكرها.

وخلاصة القول، إن الخطاب الصوفي له خصائص جوهرية تميزه عن بقية أصناف الخطابات فاذا اجتمعت هذه الخصائص في قصيدة من القصائد، يمكن للدارس أن يعدّها في مصاف الشعر الصوفي.

الهوامش :

1 - انظر مثلا أطروحة محمد بن عمارة للدكتوراه المنشور فحواها في كتابيه : «الصوفية في الشعر العربي المعاصر» (المفاهيم والتجليات) - الدار البيضاء شركة المدارس، 2000.

«الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر» - الدار البيضاء شركة المدارس 2001.

2 - انظر مثلا أطروحة محمد الشدادي للدكتوراه : القصيدة الصوفية في المغرب بين الإشكال النظري والتجريب الشعري - تطوان، جامعة عبد المالك السعدي، 2004.

3 - للكاشاني ثلاثة معاجم في التصوف هي : اصطلاحات الصوفية، رشح الزلال في الألفاظ المتداولة بين أرباب الذوق والأحوال، لطائف الإعلام في إشارات أهل الإعلام. للاطلاع على الفروق بين هذه المعاجم، أنظر علي القاسمي «عبد الرزاق الكاشاني وإسهامه في تطوير المعجمية العربية» في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد 77، الجزء 4، ص 715 - 738.

4 - محي الدين بن عربي، اصطلاحات الصوفية، حققه بسام عبد الوهاب الجابي، دمشق، دار الإمام مسلم، 1990، وكذلك نفسه : محي الدين بن عربي، اصطلاحات الصوفية، حققه بسام عبد الوهاب الجابي، دمشق، دار الإمام مسلم، 1999.

5 - من هذة المعاجم : محمد العدلوني الإدريسي، معجم مصطلحات التصوف الإسلامي (الدار البيضاء، دار

الثقافة، 2002)
6 ـ محمد الشدادي : «القصيدة الصوفية في المغرب، مرجع سابق ص 22، ويعتمد الباحث في استنتاجه على : محمد نجيب البهبيتي، تاريخ الشعر العربي حتى أواخر القرن الثالث الهجري ـ القاهرة، دار الفكر 1970، ط4، ص 60.
7 ـ جورج كتورة، «حدس» في : الموسوعة الفلسفية العربية، تحرير : معين زيادة، بيروت : معهد الإنماء العربي، 1986، المجلد الأول، ص 359.
8 ـ زكي مبارك، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، بيروت : دار الجيل، ب ت، ص 18 ـ 19.
9 ـ عبد المجيد الصغير، إشكالية إصلاح الفكر الصوفي، الدار البيضاء، دار الآفاق الجديدة، 1994، ط2، ص 15.
10 ـ السراج الطوسي، اللمع في التصوف، ص 4، كما ورد في كتاب الصغير في المرجع السابق.
11 ـ الرسالة القشيرية، ص 127، دار الكتاب العربي في بيروت، كما ورد في كتاب الصغير.
12 ـ محمد الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، بيروت : دار الكتب العلمية، 1980، ص 88.
13 ـ الرسالة القشيرية، ص 127، أورده زكي مبارك.
14 ـ زكي مبارك، مرجع سابق، ص 17.
15 ـ المرجع السابق، ص 20 ـ 23.
16 ـ محمد الشدادي، مرجع سابق، ص 6.
17 ـ المرجع السابق.
18 ـ المرجع السابق، ص 313 وما بعدها.
19 ـ فاروق شوشة، أحلى 20 قصيدة حب في الشعر العربي، بيروت : دار العودة، والقاهرة : مكتبة مدبولي، 1973.
20 ـ فاروق شوشة، أحلى قصيدة حب، في الحب الإلهي، بيروت : دار ابن زيدون، ب ت.
21 ـ المرجع السابق، ص 5.
22 ـ محمد المختار السوسي، المعسول، ج7، ص 175.
23 ـ طه عبد الرحمن في مقدمته لكتاب محمد المصطفى عزام، المصطلح الصوفي بين التجربة والتأويل، الرباط : نداكون، 2000، ص 5.
24 ـ أبلغني الناقد محمد آيت العميم ان ادكتور محمد مفتاح قد نشر دراسة عن خصائص الخطاب الصوفي في مجلة الزمان المغربية، ولم اتمكن من الظفر بالدراسة على الرغم من سعي الأستاذين آيت العميم والبشير النظيفي الى مساعدتي.
25 ـ ابن جني، الخصائص، بيروت : دار الهدى، 1978، ج1، ص 33.
26 ـ ابراهيم أبو شوار، الخطاب الصوفي والتجاوز الممكن للغة، في مجلة الوحدة، العدد 21، حزيرات 1986، ص 134.
27 ـ أورده محمد بن ابراهم النفري، شرح الحكم، بيروت : المكتبة العلمية، ب ت، ج1، ص 29.
28 ـ محي الدين ابن عربي، الفتوحات المكية، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكنتب، 1975، ج 1، ص 260.
29 ـ أبو بكر محمد الكلاباذي، التعرّف لمذهب أهل التصوف، بيروت : دار الكتب العلمية، 1980، ص 111.
30 ـ علي القاسمي، مقدمة في علم المصطلح، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية، 1987، ط2، ص 35.
31 ـ علي القاسمي، عبد الرزاق الكاشاني وتطوير المصطلحية العربية، مرجع سابق.

قراءة في رواية (أنشودة الشمس) للكاتبة الفلسطينية بشرى أبو شرار

«مقامات البوح في ملحمة الحنين والإغتراب»

بقلم : د. السعيد الورقي*

بشرى أبو شرار كاتبة مبهرة بتمردها وغضبها وثورتها التي لا تتوقف، مبهرة بكتاباتها الروائية والقصصية، متفردة الرؤى والصياغة، مبهرة بهذا السر الشاعري فائق الإحساس بإنسانية كل الأشياء هذا ما أكدته أعمالها الروائية والقصصية، التي نشرتها حتى الآن ومنها : أنين المأسورين، أعواد ثقاب، اقتلاع، شهب من وادي رام، من هنا وهناك.

وما تؤكده روايتها «أنشودة الشمس» والتي أراها ملحمة شاعرية تجمع مشاهد وصور وأحداث وشخصيات الأعمال السابقة، وكما تؤكد الموقف الفني للكاتبة وتطوعه لصياغة شاعرية جياشة بالمشاعر الإنسانية الصادقة.

أنشودة الشمس والتي يتكرر فيها حرف الشين على نحو ما يتكرر في إسم الكاتبة وهي مقابلة لافته متواليات شاعرية في أناشيد الشروق والغروب، والشروق من جديد في امتداد الزمن.

شمس هي بطلة الرواية وعازفة الأناشيد للشمس الأخرى، للضوء والضياء وصفاء الرؤى. فالشمس هي الحياة التي تتجدد كل يوم في مسيرة الزمن لتتجدد معها معاني الحياة وتمتد الى ما لا نهاية له، كما تتجدد الأم في شمس، وكما ستجدد شمس في إبنتها الوحيدة «علية» وأنت يا «علية من رحم الشمس، ستولد فيك شمسنا الأبدية» ص 126.

وهذه الشمس الأبدية هي الوطن، المكان والزمان والناس وتفصيلات الحياة الحقيقية التي رضعها الصغار من أمهاتهم «وهكذا تزهر الحياة بعف جفاف، وصفحات بيضاء تستقبل معزوفة الألوان من وجه الشمس» ص 301.

* * *

أنشودة الشمس لبشرى أبو شرار هي ملحمة الحنين والإغتراب، تعزفها الكاتبة من مقامات البوح، والبوح روح الحقيقة، ومن مقامات الحضور والأفول.

يتكون الفصل السردي للرواية من مدخل وخروج وبينهما ثمان وخمسون أنشودة.

المدخل تقديم للمكان وتأكيد لبطولته المطلقة، والمكان هو مسرح الأحداث والمشاعر والأحلام، والمسرح مشحون بقلق الرحيل والإغتراب، وداخل المسرح رجل وامرأة، ثنائية الحياة، وزمن اللحظة الرحيل، الرحيل عن الزمن... الرحيل عن الوطن، الرحيل عن الأنثى المكان والوطن والشمس والخروج حلم التحرر من أسباب الغربة والسفر والترحال

* ناقد من مصر

والعودة لميلاد جديد «صغيرة لم تغادر حضن أمها، زهور الليلك عائدة برائحة عنبر في علبة مخملية» ص 304.

وبين مدخل وخروج أناشيد العزف، سرد شاعري يجمع بين الأسطوري والنفسي والواقعي.

يتحرك هذا السرد الشاعري بشمس وعوالمها الداخلية والخارجية، بين الماثل والحلمي والانفعالي، يتحرك بها ومعها المكان، المكان الوطن والإنسان، والزمن وتفصيلات الحياة «الأمكنة تشبهني، تبكي، تتمرد، تصرخ، تستغيث» ص 137.

شمس الأناشيد امرأة تحيا عشقا، إنها عاشقة بكل خلية حية فيها، وعشقها هو الوطن، شمس العاشقة مسكونة بالوطن «أما أنا.. هذه سيناء وعلى مرمى بصر من ذات الأرض، يولد وطن آخر.. أسماء المدن منقوشة على جلدي، الشمس فـي جـدائلي تشرق من هنـاك..» ص 153.

وطن شمس الشوارع والطرقات والمدن والقرى والأشجار والزهور والحجارة المتناثرة، وطن شمس الموتى والأحياء، والغائبون والحاضرون، وطن شمس أم سالم، وكريمة، ورفعت الغائب الحاضر، وعلية زنبقتها الوحيدة، وماجد المعتقل في سجون بعيدة، وطن شمس ميراث من الحكايات لا تنضب، وطن شمس حبات الكستناء في ليالي الشتاء، ومذاق الكنافة بالقشطة في محلات غزة وبيوتها، وطن شمس حياة حقيقية تحمل ملامح المدينة في وحـدة وجـدانية شعورية يصبح فيها الإنسان والمكان زمنا واحدا...

* * *

وهكذا شكل المكان والزمان كيانا سرديا واحدا متماثلا ومتماسكا، فاصبحت أناشيد شمس للشمس متتابعات زمنية من خلال الزمن النفسي الخاص، زمن شمس، هكذا الزمن الذي شكل البنية السردية للعمل باستغلال أبنية دائرية تتحرك بالزمن في نقطة والذي تصبح فيه نقطة البداية هي نقطة النهاية، والمسار النامي في تطوره المتصاعد.

كل أنشودة من أنشودة الشمس بناء زمني للحظة ذاتية تتحرك في دائرتها الخاصة ولكنها تقدم درجة في الموقف الإنفعالي العام الذي يشكل الخط النامي في النظام السردي للرواية.

فالمدخل مشهد مسرحي للمكان تبرز فيه البطولة المكانية للرواية، وحوار صامت عن الرحيل والاغتراب وعن ليالي الأحلام، في دائرة المدخل يحضر الوطن مجسدا في المكان والإنسان وتتناثر المفردات النفسية بصورة متلاحقة ومتوترة، وهكذا تقول دائرة المدخل كل شيء عن الموقف النفسي للعمل، لكنها أيضا تقول ثم ماذا، فتأتي الأنشودة الأولى عزفا على نفس الموقف ولكن من خلال وتر آخر وتتناثر المفردات النفسية من خلال المكان، والإنسان وتفاصيل الحياة وقد تحولت كلها الى زمن يتحرك في دائرة اللحظة الذاتية، إلا أنه مرتبط بالدائرة السابقة وممتد

درجة نامية أخرى.

تسير انشودات الشمس دوائر للحظة زمنية ذاتية تتحرك في دائرتها وتتصل بالتالي بما يحقق زمن الحكي الذي يكتمل بالخروج في عودتها ولو على مستوى الحلم، من غربتها «زهرة برية، صغيرة لم تغادر حضن أمها» واعتقد أن الكاتبة استطاعت بفضل تدفق الموقف الشعوري وسلطانه عليها، أن تقدم من خلال هذا البناء السردي الجديد عالم شمس المسكون بعشق الوطن على نحو جمع بين السردية والشاعرية، حيث وفرت لروايتها البناء الحكائي باحداثه المتطورة وشخصياته المتحركة والفاعلة في فعل الحكي، وذلك من خلال موجات شاعرية استغلت فيها تقنيات المشاهد والكولاج وحركة الكاميرا في اختيار الزوايا واللقطات الواسعة المتراصة في اللحظة الواحدة.

ساعدها على هذا لغة عالية الشاعرية تركز على الدلالات الجمالية للغة، من صوتية وذاتية ونفسية جماعية وتكثيفية مركزة، إلى جانب الدلالات المجازية الإيحائية، على نحو يكشف عن إحساس واضح لشاعرية اللغة وفنيتها الأدائية، وهو ما نلاحظه بشكل مطرد في الصياغة السردية للرواية على نحو ما نرى في الفقرة التالية على سبيل المثال :

«من رأى الشمس في صعود إلى أثير؟.. لماذا بكت وهي تجاهد صعودها؟ تتكيء باحزانها على دجات تحملها اليه، تذيب المسافات ما بينهما، تبكي لحظات فراق تزحف نحوها... تصيبها، تغتالها على طريق عودتها إلى الأرض، وما تبقى لها غير هاتف ضيع عنوانها، يأخذ دفء صوتيهما إلى جليد وصقيع» ص 113.

فهذه الفقرة مثل غيرها من فقرات النسيج السردي للروائية، عالم شعري شعوري مشحون بالغربة والحزن والضياع والبرودة من خلال الدلالات الممكنة للغة الشعرية حيث تتكيء الكاتبة على الدلالات الصوتية للكلمات والحروف والمقاطع في بناء موسيقى انفعالية خاصة بالموقف، كما ترتكز على توفير جو من المصاحبات الصوتية واللفظية لتحريك هذا الموقف إلى جانب استغلالها للدلالات المجازية في أبعادها الكثيرة، وهو ما يؤكد أن الكاتبة تعرف جيّدا أن الأدب قبل كل شيء فن لغة، وأنه يقدم الفن من خلال اللغة التي يجب أن تكون بين أيدي الأديب رموزا وإشارات سحرية تتصل بعالم الوجدان قبل اتصالها بعالم الإتصال المعرفي وهذا ما حققته الكاتبة بشرى أبو شرار بفضل صدق معايشة تجاربها الفنية صدقا انفعاليا فنيا.

رواية أنشودة الشمس للكاتبة بشرى أبو شرار ملحمة الإنسان المعاصر في زمن الحنين والاغتراب، كتبتها الكاتبة بمهارة فنية عالية، وصدق وجداني عاشق، وإحساس متميّز بالحرص على تقديم الجديد غير المألوف.

« حفيف الريح »
بين الرواية والسيرة الذاتية

بقلم : نبيل درغوث

«إن معظم الروايات الأولى هي سير ذاتية مقنعة، هذه السيرة الذاتية هي رواية مقنعة»
(كليف جيمس)

مدخل

مثّل تداخل الأجناس الأدبية إشكالا بالنسبة إلى مصنفي الأدب. وقد أصبح تمييز كل جنس أدبي عن غيره أمرا عسيرا لتداخلها وتوالدها بعضها البعض. وهذا ما سبب خلطا هائلا بحت تعاني منه بعض المقاربات للأجناس لأدبية حيث تسود زئبقية مصطلحاتها وانفتاح النصوص على بعضها البعض. فليس ثمة أسوار منيعة أو آليات تعمل داخل الشكل الفني، تحول دون تداخل الأشكال الفنية وتمازجها(1).

الرواية

على سبيل المدخل النظري الموجز سنحاول بدءا تحديد الملامح الكبرى للرواية التي يمكن القول بانها عمل فني متخيل، نثري، ينهض على أساس قصصي مادته أحداث وشخصيات هي مزيج بين الخيال والحقيقة على شكل حبكة ذات تعقيد ما. قد يبدو هذا التعريف بمثابة تقرير أمر واضح، لأن الرواية تتخذ «لنفسها ألف وجه، وترتدي في هيئتها الف رداء، وتتشكل أمام القارىء تحت ألف شكل مما يعسر تعريفها تعريفا جامعا مانعا. ذلك لأننا نلفي الرواية تشترك مع الأجناس الأدبية الأخرى بمقدار ما تتميز عنها بخصائصها الحميمة، وأشكالها الصميمة»(2).

الرواية تركيب خيالي وهي قبل كل شيء بناء فني-رمزي يسعى لأن يمثل الوضع الاجتماعي / النفسي / الانطولوجي للإنسان في الكون. فالرواية بمعنى ما هي الوهم المبتكر الذي يترك آثاره في نفس القارىء. «إنه الوهم الخالد... الوهم الباقي لأنه يإخذ شكلا صلبا وحيويا عبر الفن بحيث يتواصل مع الآخرين من البشر مهما بعد زمانهم ونأى بهم المكان فيصير بامكانهم أن يعايشوا صورة الوهم وأن يتأثروا بها»(3).

يرى بعض منظري الرواية في احتمال نشأتها ومسار تطورها أنها / الرواية من أهمّ أشكال الإبداع قدرة على التوظيف والاستفادة من

الأجناس الأدبية التي سبقتها (الأسطورة، الملحمة، الحكاية..الخ). فهي «الوريث الشرعي للأجناس السابقة»(4) ومن الباحثين من يرى أن «الرواية عموما هي الجنس متهم بإراقة دماء الأجناس التقليدية القديمة واستعباد بعضها أحيانا وتحويلها إلى «مدبرات» سرد في نسيجه الحكائي»(5).

والرواية من الأجناس الأدبية التي هي في علاقة توارثية وتستكمل سلالات بعضها منها مثلا السيرة الذاتية. ونحن نفترض ان رواية «حفيف الريح» لظافر ناجي هي من جنس السيرة الذاتية. وقبل تبيان هذه الفرضية يجدر بنا في مسلكنا النقدي ان نتوقف عند أهم المحطات التي عرفتها تنظيرات السيرة الذاتية.

السيرة الذاتية / لمحة تاريخية :

حسب جورج ماي نهاية القرن الثامن عشر هو بداية السيرة الذاتية فنشر «اعترافات» (Confessions) (ج. ج. روسو) (J. J. Rousseau) (1712 ـ 1778) بعد وفاته شكل نقطة وإعلانا عن استقلال السيرة الذاتية ككيان أدبي(6).

وإن كان المؤرخون الغربيون يقرّون بأن السيرة الذاتية هي لون من الألوان الإبداعية خاص بالثقافة الغربية. فإن مع أواسط القرن العشرين تغيّرت هذه الفكرة في النقد الأدبي الغربي، ولم تعد السيرة الذاتية حكرا على الحضارة الغربية دون غيرها(7). فالدارسون للسيرة الذاتية في الأدب العربي يجمعون على أنّ هذا الشكل من أشكال التعبير عرفه تاريخنا الأدبي». وهو غرض أدبي عريق في حضارتنا العربية الإسلامية ولئن لم يتبلور منظوره الذهني بما يتيح له الانفراد بمصطلح نقدي مخصوص فإنه قد صيغ على نماذج تكاد تصل به منزلة الاكتمال في المضمون والغرض والأسلوب»(8). فالأدب العربي عرف السيرة الذاتية قديما كما حديثا. وقد اجمع الباحثون ان كتاب «الأيام» (1929) لطه حسين نص مؤسس للسيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث(9).

يعود وضع الأساس للتنظيرات الحديثة في حقل السيرة الذاتية الى سنة 1956 مع مقال «شروط السيرة الذاتية وحدودها» لقوسدورف»(10) وابتداء من هذا التاريخ تتالت المقالات والكتب حول تحديد وتعريف هذا الشكل الإبداعي الذي رأى فيه الفيلسوف الألماني ويلهيلم ديلتاي أكثر تعبيرات تأمل الحياة المباشرة.

وفي سنة 1971 وضع فيليب لون تعريفا لهذا الجنس الأدبي في كتابه «السيرة الذاتية في فرنسا» ثم نقحه سنة 1975 في كتابه «ميثاق السيرة الذاتية» قائلا : «وبعد تعديل طفيف سيصبح حد السيرة الذاتية كالآتي [هي] حكي استعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص وذلك عندما يركز على حياته الفردية وعلى تاريخ شخصيته بصفة خاصة»(11). ولعلّ هذا التعريف لا يبدو مطلقا

ونهائيا. فقد أحجم جورج ماي عن وضع تعريف رغم معالجته لهذا الجنس الأدبي ضمن كتابه «السيرة الذاتية»(12). وبعد سنوات قام فيليب لوون بنقد ذاتي ضمن كتابه «أنا أيضا»(13) معيدا النظر جذريا في «ميثاق السيرة الذاتية» الذي كان قد صاغه فيما سبق.

إذا فلا سبيل للحديث عن جنس سردي نقي خالص، باعتبار أن السيرة الذاتية قد أخذت عند نشأتها أساليب وفنيات الكتابة التي اعتمدتها الرواية سابقا. «فالألوان الإبداعية تميل غالبا إلى الدخول في علاقة تماثلية فيما بينها، أو توارثية، أحيانا تفسر بعضها أو تستكمل وظيفتها التعبيرية»(14)، وهكذا تصل «الرواية» و «السيرة الذاتية» في علاقة إشكالية قائمة، فكلاهما يتأسس على قصة حياة بطل فرد يدخل في صدام مع محيطه رافضا لنواميس المجتمع، قلقا، ساخطا، يعيش في علاقة اشكالية مع كل ما يحيط به.

ودون أن نتمادى في عرض مسهب للمجال التنظيري دعنا نتفحص بنية رواية «حفيف الريح» لظافر ناجي مستنيرين بما أوردناه.

هيكل وبنية الرواية

تتألف «حفيف الريح» من أربعة فصول تتخللها أربعة ملاحق، وقد هيكل المؤلف هذه الرواية على النحو التالي:

- تصدير الرواية بفقرة للجاحظ من كتاب «الحيوان».

- الفصل الأول: من ص 10 - 23، ويشتمل على 14 صفحة، بدون عنوان مع تصدير بكلام حول آدم وحواء.

وجاء الفصل الثاني والثالث تحت عنوان كبير «كتاب النساء» صخب الذاكرة وأوجاع الحاضر.

- الفصل الثاني: من ص 25 - 60، ويشتمل على 36 صفحة، تحت عنوان «أمينة» ضجيج العاصمة.

- ملاحق المرحلة: يتألف من ملحقين هما كتابات المرحلة ورسائل المرحلة.

- الفصل الثالث: من ص 67 - 125، ويشتمل على 59 صفحة، تحت عنوان «ماري» ثورة المانش.

- ملاحق المرحلة: يتألف من ملحقين هما كتابات المرحلة ورسائل المرحلة.

- الفصل الرابع: من ص 132 - 138، ويشامل على 7 صفحات، بدون عنوان مع تصدير بكلام حول آدم وحواء.

منذ الفصل الأول يتولى الراوي مهمة الحكي ليمتد ذلك على كامل الرواية غير انه يتخلل هذا السرد حوارات مطولة بين الشخصيات.

وإن كانت الرواية قدمت أحداثا عاشتها الشخصية الرئيسية بين قرقنة والعاصمة وقابس في منتصف الثمانينات وأوائل التسعينات. فقد واكبت من جهة أخرى التحولات التي عرفها الواقع الموضوعي على الصعيد العربي والعالمي.

والرواية أيضا هي ذكريات الشخصية الرئيسية (فاضل) جاءت في هيئة «كتاب

النساء» ويمثل الفصل الأول فاتحة الكتاب أما الفصل الرابع فهو تتمة لقصة بدأت من الفصل الأول مكونة ذكرى تضاف إلى «كتاب النساء». ولكن سؤالنا المركزي في هذه القراءة يضل ينمحور حول تجلي عناصر السيرة الذاتية في هذه الرواية.

في البحث عن الميثاق السير ـ الذاتي

إنّ استخدام المؤلف لأحداث وشخوص وأماكن ترتبط بحياته الشخصية قصد تأليف روايته الأولى يمثل ظاهرة لا يمكن أن تغيب على أي قارىء جادّ. فالكاتب ينطلق في نصوصه الأولى من كل ما يتصل بحياته مركزا فيها على تاريخه الشخصي وسبب ذلك، ربما، ثقل الذاكرة على مخيلّة المؤلف. فلا بدّ للكاتب أن يتخلص من ذلك الثقل في أعماله الأولى فتتطهّر المخيلّة ليقع تشغيلها بملكات التخييل. وكان «كليف جيمس» قد نبّه إلى هذه الظاهرة حيث يقول : «إن معظم الروايات الأولى هي سيرة ذاتية مقنّعة». والكتابة عن الذات ممارسة يسيرة يتحسس الروائي من خلالها عالم الكتابة من خلال مرجعيته الذاتية وحياته وتاريخه الشخصي وعلاقته بالذوات الأخرى. يتناول كلّ هذه الزوايا التي عرفها وخبرها وعاشها قبل أن يبتكر حياة وشخصيات غيرية»(15). وهذه المرحلة هي مرحلة جنينية وضرورية لنشوء الكاتب إلا أن كثير من الكتاب من يبقى نزيل هذه المرحلة لا يعرف منها فكاكا فتراه يستنزف تلك الذاكرة استنزافا حتى يسقط في التكرار فلا يعثر له الباحث إلا على نصّ فريد كان قد صاغه مؤلفه بطرق شتّى. وإذا أراد أن يتجاوز ذلك فعليه أن يتمرد على ذاته وأن يتنكر لعلمه الأول حتى يؤسس ذاتا إبداعية أخرى في عملية أشبه بقتل الأب، ونقصد بالأب، النص الأول للكاتب.

نعثر في «حفيف الريح» على علامة اجناسية هي عبارة «رواية» تصاحب العنوان موجهة القارىء منذ البدء على تلقيها باعتبارها «رواية». غير أن القارىء العارف بحياة الكاتب يجد نفسه أما نص من تلك النصوص التي يصفها «فيليب لوجون» بالنصوص التي يعثر فيها على التشابهات وعلى تطابقها بين المؤلف والشخصية رغم أن المؤلف اختار أن ينكر هذا التطابق، أو على الأقل اختار أن لا يؤكده(16). فبالتطابق بين الكاتب والراوي والشخصية تكشف السيرة الذاتية عن ذاتها. والغالب على السيز ـ الذاتية أنها تكتب بضمير المتكلم المفرد «أنا» الذي يصهر كلّ من الراوي والشخصية والكاتب في بوتقة واحدة. إلا أن ظافر ناجي تعمدّ استعمال ضمير الغائب «هو» لكي يوهم القارىء بأن نصه سيرة غيرية ويؤكد الانفصال بين من عاش القصة (الشخص) ومن يسردها (الراوي) غير أنه يمكن الحصول على تطابق بين الراوي والشخصية في حالة الحكي «بضمير الغائب» باقحام مشكل المؤلف حسب عبارة صاحب

كتاب «الميثاق السير الذاتي»(18). ،ذلك باقامة المعادلة المزدوجة التالية :

المؤلف = الراوي

المؤلف = الشخصية

المؤلف = الراوي و المؤلف = الشخصية

إذا الراوي = الشخصية

فقصة «فاضل» (الشخصية الرئيسية) تتقاطع في الكثير من المواطن مع قصة «ظافر» (المؤلف). ذلك أن «فاضل» يحمل الكثير من السمات المشتركة بينه وبين المؤلف ابتداء بالاسم فالاسمان يشتركان في أحرف ثلاثة الفاء (ف) والظاء (ظ) فاسم (ف ـ ا ـ ضـ ـل) هو كتابة (ظ ـ ا ـ فـ ـر) من اليسار إلى اليمين ابتداء من حرف الفاء (ف) وإنهاءه بحرف اللام (ل). أما بقية السمات فتظهر في مسقط الرأس «قابس» ودراسة اللغة والاداب العربية بالجامعة وامتهان التدريس بقابس سابقا واحتراف الكتابة.

كما تؤكد الملاحق التي ادمجت ضمن فصول الرواية التطابق بين المؤلف والشخصية. فهذه النصوص التي جاءت تحت عنوان كتابات المرحلة كانت قد نشرت فيما مضى بامضاء «ظافر ناجي» (المؤلف) : حيث يتضمن النصّ الأول قصة قصيرة بعنوان «القمامة» نشرها المؤلف ضمن مجموعته القصصية «المتاهة» بتونس سنة 1992. أما النص الثاني فهو مقتطف من رواية كان قد نشرها بسوريا سنة 1994 تحت عنوان «أرخبيل الرعب» ورغم هذا التطابق بين الراوي والشخصية بطريقة غير مباشرة أي عن طريق المعادلة الرياضية. فالتطابق مثبتا داخل النص وإن مكّن ضمير الغائب الكاتب من الفصل بين الراوي والشخصية. فإن الراوي ينهض راويا عليما باطوار حياة الشخصية كلها يستحضر ما يشاء منها حين يريد استباقا أو استرجاعا :

«تذكر في وحدته ذلك الحيز من ماضيه فلم يعرف أيتالّم من أنه كان كذلك أم يفرح بأنه تجاوز كل تلك العقبات وأصبح الآن أستاذا يدرّس النشء دون أن يمس بسوء... كثيرون من أصدقاء تلك الفترة يقولون له أنهم متعجبون من كونه تمكن من اتمام دراسته فقد كان مؤهلا ليكون خريج سجون أكثر من تأهله للتخرج من الجامعات...

تذكرَ كلَ ذلك ولم تغادر صورة أمينة رأسه لحظة واحدة لكنه كان قد قرر الفراق، وكان من الصعب أن يجعله شيء ما يغيّر رأيه. بعدها نجح هو والتحق بسلك التعليم في جهة قابس غير بعيد عن العائلة وهناك انشغل أو شغل نفسه بالكتابة، فجمع القصص القصيرة التي كتبها وهو طالب ونشرها في الجرائد والمجلات ثم بدأ يكتب بشكل متواصل وينشر تباعا وقد قرر أن يمتهن الكتابة لاحقا رغم أنه لم يكن وقتها قد عرف أية مهنة شؤم كانت...» (حفيف الريح، ص 59).

وقد بدا لنا أنّ العلاقة بين الراوي والشخصية تتجلى خاصة في اشتراكها في ذاكرة واحدة حتى تتوحد الذات الراوية والمروية في ما يشبه حالة الحلول ويمكن في هذا المضمار

الاستشهاد بأمثلة والفقرات التالية :

- «هنا أيضا تتدخل الذاكرة اللعينة وكأنها تريد الإجابة عن أشياء لم تسأل عنها لكنها مع ذلك تأخذ صاحبها قسرا إلى حيث هي تريد» (حفيف الريح، ص 23).

- «ما الذي بقي الآن غير صدى لذاكرة مثقوبة تأتي بالأشياء من أعماقها وكأنها تخرج بها من أعماق كهف مظلم بعد منتصف ليل بهيم».. (ص 25).

- الآن في هذه الأيام الأخيرة من آخر الألفية الثانية يبدو منتصف الثمانينات زمنا آخر وكأنه آت من قرون خلت.. ياه.. ما أسرع ما وقع».. (ص 26).

- «وها هو الآن يكتشف أنه لم يفهم شيئا وأنه غير قادر على أكثر من استرجاع الصور التي عاشها في أقصى الحالات لأن الذاكرة ألاعيبها التي تنتهي، فهي تنتقي وتزيّن وتعبث بصاحبها» (ص 52).

- «عادت به الذاكرة إلى تلك الأيام، والذاكرة حين تثور تحرق كل المحاضر فتتعالى عليه وتقزّمه».. (ص 53).

- «... حتى لكأنه كان يهرب من ماضيه القريب إلى ماض أبعد كان أحلى وأجمل بلا شعارت ووفاء ولا قفازات ولا مواد تجميل»... (ص 67).

- «الذاكرة ذلك الجزء من الدماغ..

والدماغ ذلك الجزء من الرأس..

والرأس ذلك الجزء الذي يحكم البدن بأكمله.

أفلا تكون الذاكرة هي التي تحكم كل شيء فينا، أو ليس الماضي هو سبب وجودنا الحالي وإن كذبنا على أنفسنا وقلنا إننا تجاوزناه أو أننا صنعنا لأنفسنا حاضرا لا علاقة له بذاك الماضي ؟» (ص 105).

- «وتدور الذاكرة وتقفز في ساديّة مرهقة تتلذّذ بعذاب صاحبها.. اللهم الحمد لك والشكر لك على نعمة النسيان التي تقمع تسلط الذاكرة».. (ص 105).

خـــاتمة

الجنس الأدبي الذي يبدو لجورج ماي اعلق الأجناس عضويا بالسيرة الذاتية هو الرواية(19).

وقد اعتمدنا على عناصر من مكونات السيرة الذاتية لقراءة رواية ظافر ناجي «حفيف الريح». فهل ان نموذج القراءة الذي اعتمدناه يكفي للإلمام بسر العملية الإبداعية التي حاكت نسيج هذا النص الروائي؟

الهــوامــش :

- ظافر ناجي : «حفيف الريح» (رواية) - تونس 2001.

1 - القولة لمحمد العباس مأخوذة عن عبد الله بن عبد الرحمان الحيدري : رواية السيرة الذاتية، مجلة علامات في النقد، م 13، 49 سبتمبر 2003، ص 580.

2 - عبد الملك مرتاض : في نظرية الرواية، سلسلة عالم المعرفة عدد 240، ديسمبر 1998، ص 11.

3 - فؤاد التكرلي : الطيور صغيرة تحت أنظار الشيخ الحزين، جريدة الشرق الأوسط، عدد 9079، اكتوبر 2003، ص 16.

4 - فرج لحوار :مجلة الحياة الثقافية (تونس) عدد 82 فيفري 1997.

5 - كمال الرياحي : حركة السرد الروائي ومناخاته، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن 2005 ص 55.

6 ـ أنظر جورج ماي : السيرة الذاتية، ترجمة محمد القاضي وعبد الله صولة، بيت الحكمة ـ تونس 1992، ص 28.

7 ـ انظر دويت رينولدز : السيرة الذاتية في الأدب العربي، مجلة الكرمل عدد 76 ـ 77 سنة 2003، ص 89.

8 ـ عبد السلام المسدي : النقد والحداثة، دار أميّة، تونس 1989، ص 115.

وانظر أيضا : يحي ابراهيم عبد الدايم : الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث.

ـ د. منصور قيسومة : السيرة الذاتية في التراث العربي، التعدد والتنوع، مجلة الحياة الثقافية (تونس) ـ عدد 104، أفريل 1999.

9 ـ أنظر : محمد الباردي : السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث : حدود الجنس وإشكالاته، مجلة فصول مجلد 16 عدد 3، سنة 1997، ص 69.

ـ دويث رينولدز : ص 98.

ـ إحسان عباس : فنّ السيرة، دار الثقافة، بيروت دت، ص 151.

10 ـ أنظر آنخل ج. لورايو : المشاكل النظرية للسيرة الذاتية، ترجمة نادرة الهمامي، مجلة الحياة الثقافية عدد 146، جوان 2003، ص 48 ـ 49.

ـ دويت رينولدز : ص 89.

11 ـ فيليب لوجون : السيرة الذاتية، الميثاق والتاريخ الأدبي، ترجمة وتقديم عمر حلي، المركز الثقافي العربي، 1994، ص 22.

12 ـ L'autobiographie .Paris 1979

13 ـ Moi aussi .Paris 1986

14 ـ عبد الله بن عبد الرحمان الحيدري، ص 580.

15 ـ بوشوشة بن جمعة : متاهات الرواية في المغرب العربي، تونس 1999، ص 143.

16 ـ فيليب لوجون : ص 37.

18 ـ فيليب لوجون : ص 25.

19 ـ جورج ماي : ص 123.

نصوص

5 نصــــوص

ليورجــن يانكوفسكي ـ المانيا

تعريب : ماهر فاخوري و صلاح الدين الحمادي

1 – حمامات كاراكلا الساخنة

تسللت الفكرة إلى رأسي كالفيروس، أعرف أن كل ما يمكن الاستعلام عنه يوميا لا قيمة له، ومع ذلك أصابني نهم الجري وراء الأسرار وكشفها. لقد كان دافعا قويا، وتوغل الفيروس أكثر داخل رأسي، تذكرت أخيرا وبشكل متكرر ينابيع كاراكلا الساخنة.

في الصباح الباكر من أحد أيام السبت وبطريق الصدفة دخلت منطقة أطلال واسعة. لم أكن أتوقع أن أجد هنا ما يؤثر فيّ أو ما يمكن أن يكون له علاقة بي. ظهر لي شيء غير مألوف ولكنه أعاد تصوير نفسه بين الشغب وحب الحياة في حمامات رخامية رائعة، وأعمدة بديعة لقاعات الاستجمام والرياضة من خلال هذه الآثار العظيمة. من غير المصدق أن أبواب تلك القاعات كانت مفتوحة لكل روماني، فقيرا كان أو غنيا. إلى أن دمرها الوندال دون رحمة.

لا أعرف لماذا شغلتني حمامات كاراكلا، هل كان ذلك بسبب الاندهاش الكبير؟ أم بسبب إحالتها على قوة الغضب الأعمى الفتاك؟ أم بسبب الاثنين معا؟ إنها كارثة !...

2 – شتوتغارت في 8 جويلية 2005

فجأة شعرت أنني صرت كهلا، عجوزا في تجمع كبير من الناس في الهواء الطلق في ساحة القصر بمدينة شتوتغارت. كنت مسنًا بفعل الوحدة، أشعر بوحدة ثقيلة.. وأنني مجرد رقم... لا أحد يعرف من هو هذا الرجل.

كان الحفل الموسيقي قويا يفيض حيوية كرقصة السالسا الحارة، كل الراقصين بقبعاتهم وملابسهم بسلاسلهم وخواتمهم، بكاميرات التجوال والنظارات ذات الماركات المشهورة، بالبريسينج والأوشام، جعلوني أضحك بصوت منخفض. لم أكن متأكدا إن كان بامكاني أن أوقف كل ذلك ببساطة... كلاك... كل ذلك كان مجرد خيال.

3 – شتوتغارت في مـاي 2005

يا للغرابة، إنني نادرا ما كنت ألاحظ كيف يتغير هذا الذي من حولي والذي أراه يوميا. أني أكتب من هذه المنطقة منذ عشر سنوات، ولا شيء يتغير هنا.

يبدو أن الذي ما زال يحركني هو ذاك البعيد.. فقط. لماذا؟ هل لأني ما زلت لا أفهم الترتيبات هناك؟ هل أرى نفسي معارضا في بعض الاحيان؟ هل هو الفضول؟ أتمنّى...

4 – مكادي باي* في 4 جوان 2005

حين خرجنا من المسبح كانت السائحة

الفرنسية قد اختفت مع طفليها التوأمين الهادئين من على كراسي الاستلقاء المجاورة.
وكان جمع من البريطانيين يستعدون لأخذ مكانهم محدثين ضجيجا.
هل سينتبه أحد حين نصبح غير موجودين هنا؟ ولماذا لا ينتبهون؟..

5 – الرأس المزدوج****

اقطع الورق، يطلب هاينس، ولكن بيرند يريد أن يتحدث عن صديق قديم له كان قد مات منذ فترة قصيرة بسبب ادمانه الخمر...
«وكيف حالك»؟ سألني ذلك السمين:
«لا بأس». أجبته وأخبرته عن عملية الفقرات.
أمسيتنا الرجالية الدورية تلتئم كل أربعة أشهر، ولا يسمح أن تكون موضع تساؤل «هيا إرم الورق» يلح هاينس. السمين يريد أن يعرف من سيذهب إلى عيد الميلاد الستين لعازف الجيتار الذي كان يعزف معنا في السابق.
«بالمناسبة متى سيأتي دورك؟» سألته. ولكنه يتجاهل بينما كان بيرند يخلط الورق من جديد.

شتوتغارت (بلا تاريخ)

الهوامش:

1 ـ يورغن يانكوفسكي (كاتب / المانيا)

*** منطقة سياحية مصرية**

**** لعبة ورق المانية**

محطات ثقافية

متابعـــات ثقـافيـــة

بقلم : الحبيب بن فضيلة

أمسية شعرية

في فضاء دار الثقافة ابن رشيق بالعاصمة تونس نظم اتحاد الكتاب التونسيين أمسية شعرية يوم الجمعة 9 نوفمبر 2007 (في الرابعة مساء) شارك فيها العديد من الشعراء وذلك بالتعاون مع المندوبية الجهوية للثقافة بولاية تونس والمناسبة هي الاحتفال بالذكرى العشرين للتحول.

شاعر فرنسي في نادي الشعر

في مستهل نشاطه لهذا الموسم الثقافي الجديد استضاف نادي الشعر باتحاد الكتّاب الذي يديره الشاعر عبد اللّه مالك القاسمي، شاعرا وروائيا فرنسيا هو «روبار فيقارو» صاحب ديوان (ذكريات الأزمنة الفائتة) وبعد أن تحدث عن المشهد الثقافي الفرنسي عامة شعرا ورواية تولّت زوجته قراءة جملة من نصوصه الشعرية.

جائزة غونكور

جائزة غونكور جائزة أدبية فرنسية مهمّة سبق للمغربي الطاهر بن جلّون أن تحصل عليها ولكنّ المتحصل عليها خلال هذا العام 2007 هو الأديب الفرنسي «جيل لوروا» عن روايته (الاباما سونغ).

مصطفى الشرفي وداعا

فقدت الساحة الغنائية في تونس الفنان مصطفى الشرفي عن سن تناهز 73 عاما إثر أزمة صحية مفاجئة ألزمته الفراش. والفقيد كان من أبرز المطربين الذين تألقوا في الستينات والسبعينات ضمن الفرقة الموسيقية للإذاعة.

الشعراء وألم الفراق

الشاعران المنصف الوهايبي (القيروان) وعبد السلام لصيلع (بنقردان) فجع كل واحد منهما بوفاة والده في نفس الفترة تقريبا (نوفمبر 2007). تغمد اللّه الفقيدين برحمته ورزق إبنيهما صبرا جميلا.

ماذا نفعل بالتاريخ

ماذا نفعل بالتاريخ أو ماذا نصنع به هو عنوان المداخلة القيّمة للأستاذة منيرة شابوطو الرمادي أستاذة التاريخ الوسيط الوسيط بكلية الآداب 9 أفريل بتونس وقد زاملت في السبعينات خيرة الأساتذة في التاريخ والجغرافيا على غرار بشير التليلي وحافظ ستهم والقصاب ودغفوس وآخرون... المحاضرة كانت في مكتبة شارل ديغول بتونس وهي تتنزل في إطار سلسلة من المحاضرات واللقاءات التي ينظمها المركز الثقافي الفرنسي تحت عنوان (لقاءات نسائية) والذي أعدّ احتفاء بمنيرة شابوطو الرمادي ببليوغرافيا لأهم أعمالها ومقتطفات من أهم مقالاتها. ماذا نفعل بالتاريخ محاضرة جيّدة وممتعة وحبذا لو يتم تعريبها ونشرها لتعميم الفائدة.

نحن والمسرح

احتضنت بلادنا الدورة 14 لأيام قرطاج المسرحية وجاء المسرحيون من هنا وهناك وعرضوا أعمالهم وشهدت الدورة مسرحيات جديدة على غرار مسرحية «كينغ خميس» لجميل الجودي و«جاي من غادي» لنور الدين الورغي... وسعت مجلة الحياة الثقافية لاصدار عدد خاص بالمناسبة.. كل هذا مهم ولكن ثمّة صرخة كان قد أطلقها الأستاذ محمد مسعود إدريس في إحدى كتبه بأن آلاف النصوص المسرحية في طريقها الى التلاشي في مخازن أرشيف مؤسسة الاذاعة ولم تجد تلك الصرخة بعد الآذان الصاغية!!! فلماذا لا تمتد اليها الأيادي وتتولى المجلات الثقافية الصادرة في بلادنا في كل عدد من اعدادها نشر نصّ منها. ولماذا لا يكلف الطلبة في اطار مشاريع التخرج سواء في المعهد العالي للفن المسرحي أو في غيره بجمع نصوص بعض هذه المسرحيات أو فهرستها أو اختيار البعض منها لنشره ودراسته وبذلك ننقذ كنزا وطنيا من التلاشي !

مجلة البيان (نوفمبر 2007)

وصلنا العدد 448 من مجلة البيان الصادر خلال شهر نوفمبر 2007 والبيان مجلة أدبية ثقافية شهرية تصدر عن رابطة الأدباء في الكويت وقد صدرت لأول مرة خلال شهر افريل عام 1966.

جاء هذا العدد حافلا بالمواضيع والدراسات والأشعار من ذلك :

ـ المازني الذي أحبّه (عبدالمنعم رمضان) ـ توفيق الحكيم صانع عصر (مصطفي الملطاوي) ـ أسطورة أوديب في المسرح المصري (د. نرمين الحوطي) ـ محمد أحمد المشاري حامل الكويت في شعره في حلّه وترحاله (محمد بسام سرميني). أما كلمة البيان فكانت بقلم حمدالحمد.

مجلة البيان مجلة متميزة يرأس تحريرها الأستاذ حمد عبد المحسن الحمد، أما سكرتير التحرير فهو الأستاذ عدنان فرزات.

مكتبات عمومية ثابتة ومتنقلة

ذكر السيد محمد العزيز ابن عاشور وزير الثقافة والمحافظة على التراث في اطار رده على تدخلات النواب أثناء مناقشة مشروع ميزانية الوزارة لسنة 2008، أنه تمّ انجاز 7 مكتبات عمومية خلال العام 2007 وتهيئة ثلاثين مكتبة عمومية وبرمجة اقتناء 4 مكتبات متنقلة. كما أشار الوزير إلى أن بداية العام 2008 ستشهد انطلاق السنة الوطنية للترجمة والاستشارة الوطنية حول المسرح. أما القيروان فستكون عاصمة للثقافة الإسلامية خلال سنة 2009.

إذاعة الزيتونة

شهدت سنة 2007 مولودا إعلاميا جديدا في تونس هو إذاعة الزيتونة التي يترأسها د. كمال عمران. هذه الإذاعة اتسع مجال بثها ليصل الى كل جهات البلاد وهي تلقى صدى وتجاوبا من الناس. وفي ذلك تكريس لمبدأ التسامح ودليل على التفتح وعدم الانغلاق الذي يميّز بلادنا.

جائزة القصة القصيرة

تم مؤخرا حصول القاص التونسي بوراوي عجينة على جائزة البنك التونسي للقصة القصيرة المعروفة بجائزة أبي القاسم الشابي وذلك بالنسبة للعام 2006 عن مجموعته القصصية «لمسات متوحشة» الصادرة في سوسة عن دار سعيدان للنشر.

لمسات متوحشة تمّ تتويجها من بين 88 مجموعة قصصية لكتّاب من تونس والوطن العربي ترشحت لنيل هذه الجائزة.

فهنيئا لصديقنا بوراوي بهذا التميّز والنجاح والتكريم.

محمود درويش في تونس

زار الشاعر الفلسطيني الكبير محمود درويش تونس بمناسبة أيام قرطاج المسرحية حيث وقف على خشبة المسرح البلدي مساء الخميس 6 ديسمبر 2007 ليتلو جداريته التي اشتغل عليها المسرح القومي الفلسطيني في عمل مسرحي كان هو خاتمة الدورة 14 لأيام قرطاج المسرحية.

الشاعر كمال بوعجيلة في الاتحاد

الشاعر الصديق كمال بوعجيلة المقيم في باريس قام أثناء عودته إلى أرض الوطن قبل شهر ونصف من نهاية العام 2007 بزيارة مقر الاتحاد حيث تحصل على الاعداد الثلاثة الاخيرة من مجلة المسار التي نالت اعجابه في ثوبها الجديد ووعد بدعمها بنصوصه.

نحن في انتظار قصائده لنشرها على صفحات المجلة وفي انتظار نصوص كتّاب آخرين يقيمون في باريس على غرار الطاهر البكري وابو بكر العيادي ومحمد الغزالي والناصر بن رجب وغيرهم..

عمل الكتروني جبار

أنجز الشاعر التونسي المولدي فروج وعضو الهيئة المديرة لاتحاد اكتاب التونسيين مشروعا تطلّب عدة شهور حتى يخرج للنور وكان فروج قد بدأ منذ الربيع الماضي في تصميم موقع جامع يضم مدونة الاتحاد ونشريته الرسمية ومدونات عدد كبير من الأعضاء في انتظار استكمال المشروع وانخراط كل الكتّاب المنضوين تحت اتحاد الكتاب التونسيين في هذا الانجاز الحضاري الذي يطمح كما يقول فروج الى مقاومة الأمية المعلوماتية التي يخاف أن تستفحل وكذلك التعريف بالأدب والأدباء التونسيين.

حول هذا المشروع كان هذا الحوار الذي انجزه صالح السويسي مع صاحب المشروع الثقافي المولدي فروج وتولى نشره على أعمدة الصحافة، وقد رأينا من الصالح اعادة نشره ليطلع عليه كافة أعضاء اتحاد الكتّاب.

*** أشهر طويلة استهلكها تفرغك لانجاز هذا الموقع الضخم الذي يعتبر الأول في تونس، ماذا تضيف ؟**

- يندرج انجاز هذا الموقع المتحرك في اطار التعريف بالأدب والأدباء التونسيين كما ينص على ذلك القانون الأساسي للاتحاد ويطمح هذا المشروع إلى مقاومة الأمية المعلوماتية التي نخاف أن تستفحل. انجزته بمبادرة شخصية وأمضيت الربيع والصيف اشتغل طول الوقت مستعينا بفريق مختص. سيعرض هذا المشروع على الهيئة المديرة ولا أعتقد أنها سترفضه بل بالعكس فقد دفعني بعض الأعضاء الى العمل اضافة إلى أن هذا الانجاز هو في الواقع تنفيذ لبرنامج كنا وعدنا بانجازه.

*** وهل وجدت تشجيعا من خارج الهيئة المديرة ؟**

- الآخرون وأقصد بقية الأعضاء والاعلاميين الثقافيين وكل المهتمين بالشأن الاتحادي فقد شجعوني كثيرا ولقد وجدت فيهم نفسا جديدا استمده للمواصلة كلما أصابني الارهاق وهذه مناسبة لأرفع تحية شكر ولأقول لهم لقد ساهمتم بمكالماتكم وبمراسلاتكم في انجاز هذا العمل فتحية تقدير لكم جميعا.

*** وماذا عن شكل الموقع ؟**

- أما شكل الموقع فيقوم على فكرة طريفة نسبيا تعتمد على المزج بين «المدونة والموقع» حتى اضمن الحركية الدائمة للموقع وحتى يظل يكبر كل يوم مع كل اضافة في ذيل آخر صفحة لعضو ما وسأبسط الأمر ليفهمه الجميع فاقدم الموقع في شكل مدينة تحتوي على ساحة وسطى تتفرع

منها أنهج وشوارع.

***كيف ذلك ؟**

- الساحة عبارة على واجهة كبرى تظهر عليها كل الاشارات والعناصر الأساسية التي يتشكل منها الموقع.

*** إذن نقطة الانطلاق هي نشرية الاتحاد ؟**

- بالفعل من خلال نشرية الاتحاد الالكترونية «موقع» يمكن للجميع الاطلاع على النصوص والأخبار المتجددة يوميا ولا يمكن النشر فيها الا عن طريق بريد الكتروني يوجه الى رئيس تحريرها الذي يحتفظ بكلمة المرور.

*** وهل ثمة صفحة خاصة بتاريخ الاتحاد وهيكلته ؟**

- بالتأكيد للاتحاد كهيكل نشيط موقع، حيث نقدم من خلاله الاتحاد بنشأته وقوانينه ومنشوراته الجديدة ومجلته «المسار» وهو يحرر ويتابع من طرف الهيئة المديرة.

***وللأعضاء حيهم أيضا ؟**

- حي الأعضاء أهم عنصر في الموقع نظرا لحركيته الدائمة والكبيرة والمتزايدة دوما وقد هيأته في شكل مدونات لعدة أسباب وجعلت في كل جهة عنوانا لكل عضو أي صفحة أعددتها بما توفر لدي من معلومات عنه نثبتها كعنصر أساسي في موقع الاتحاد وهو عنصر ثابت يقدم العضو بصورة موجزة.

وفي الجهة المقابلة أي مقابل كل اسم أعددت مدونة للعضو فيها كل ما توفر لي عنه وهيأتها للاضافة بعنوان مستقل.

*** وهل وجدت تجاوبا من الأعضاء ؟**

- دعوت ولا زلت أدعو الأعضاء خصوصا الذين لا يقدرون على انجاز المدونة أن يمدوني بما يلزم من سيرة ونصوص وصور عن طريق «الايميل» فقط لإرتقي بصفحاتهم من عنوان الى مدونة كما أدعو يوميا الذين جهزت لهم مدونات الى مهاتفتي لأسلمهم مفتاح الدخول اليها ومواصلة تأثيثها، بنصوصهم وصورهم وبنشاطهم وغير ذلك ثم أترك لهم حرية تغيير مفتاح الدخول وتغيير شكل المدونة ومحتواها ومواصلة تأثيثها.

*** وكيف يمكن متابعة كل جديد في مدونات الأعضاء ؟**

- الشيء الهام والجيد يكمن في أن كل اضافة تضاف الى عنوان ما يتمّ تنزيلها من طرف صاحبها الذي تسلم مني ادارة مدونته أو من طرفي شخصيا ثمّ ستظهر آليا في موقع الاتحاد أي في الساحة حيث الواجهة الأساسية وكما ترى فان هذه الطريقة تضمن لنا موقعا متحركا وحيا على الدوام يزداد كلما زاد أحد الأعضاء نصا أو معلومة أو مجرد تدخل وتبقيه متغيرا لا يموت أبدا

بحيث يتجدد باستمرار مع تصعيد صورة جديدة للعضو أو لغلاف كتابه الجديد أو لنص حديث نشره ويمكن أن تطلب إسم هذا العضو أو ذاك من محرك الياهو مثلا وبالعربية حتى يقودك مباشرة اليه ويعود بك إلى الاتحاد في ربط أوتوماتيكي منسق.

الجمعية التونسية للدراسات والبحوث حول التراث الفكري التونسي .برنامج سنة 2008 .

انطلقت هذه الجمعية في العمل في 30 أكتوبر 2004 وهي تهدف الى المساهمة في دعم اشعاع التراث الفكري التونسي عبر العصور. أما مؤسسوها فهم الأساتذة : كمال عمران ـ فتحي القاسمي ـ كمال بن وناس ـ محمد بن الاصفر ـ جميلة مملوك وغيرهم.

هذه الجمعية عقدت مؤخرا جلستها العامة وتضمن برنامج نشاطها ما يلي :

1 ـ ندوة خاصة بالعبودية والغاء الرق في تونس بمناسبة مرور 160 سنة على تحرير العبيد في تونس (1849 ـ 2006) في غضون 2008.

2 ـ ندوة علمة بالتعاون مع بيت الحكمة حول الشيخ المصلح محمود قابادو (22 جانفي 2008).

3 ـ ندوة دولية حول ابن خلدون والاستشراق الآسيوي، (ربيع 2008).

4 ـ ندوة علمية حول الشيخ الشاذلي النيفر بالتعاون مع بيت الحكمة (يومي 5 و6 ماي 2008).

5 ـ ندوة علمية بالتعاون مع بيت الحكمة حول الأديب الناقد محمد الحليوي بمناسبة الاحتفال بالقيروان عاصمة الثقافة الاسلامية 2009.

6 ـ ندوة حول الحكيم والوطني أحمد بن ميلاد (من خلال وثائقه المطبوعة والمرقونة والمخطوطة) بالتعاون مع بيت الحكمة مطلع (2009).

7 ـ ندوة علمية حول دور الجزائريين في الحركة الوطنية والفكرية التونسية بالتعاون مع المكتبة الوطنية الجزائرية منتصف (سنة 2008).

كما ضبطت الجمعية أيضا مشاريعها المستقبلية والتي من أهمها :

ـ بعث نشرية ثم مجلة فصلية حول التراث الفكري التونسي.

ـ التوأمة مع جمعيات في تونس وخارجها ذات الاهتمام المشترك في إطار منظومة الإيروماد.

ـ إحداث مكتبة (مطبوعات ـ مرقونات ـ مخطوطات) متخصصة في الكتاب التونسي ورقيا والكترونيا يشارك في اثرائها أعضاء الجمعية ومحبوها ومؤسسات ثقافية.

ـ برمجة موقع الكتروني متعدد الجوانب والوسائط.

ـ تخصيص مكتبة الكترونية تضم أعلام الفكر التونسي قديمه وحديثه الى جانب مكتبة ورقية

تحتوي على الكتابات التونسية القديمة والحديثة وبنك صور لأعلام الفكر التونسي.

ـ انشاء متحف للصور الخاصة بأعلام تونس ومعالمها.

برنامج المجمع التونسي بيت الحكمة لسنة 2008

4 و 5 جانفي 2008 : تكريم الأستاذ محمد اليعلاوي.

22 جانفي 2008 : يوم دراسي حول الشيخ قابادو.

1 ـ 2 فيفري 2008 : ندوة «الأبوة» بالتعاون مع كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس.

23 فيفري 2008 : يوم دراسي حول علم الوباء بالاشتراك مع الأكاديمية الفرنسية.

مارس 2008 : ندوة «الوضعية : المنابع والنقد» بالتعاون مع كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس).

7 ـ 12 أفريل 2008 : الدورة لحادية عشر لملتقيات قرطاج الدولية : «العنف».

2 ـ 5 ماي 2008 : ندوة "Orient baroque / Orient Classique" بالتعاون مع كلية 9 أفريل بتونس

12 ماي 2008 : يوم دراسي حول الشيخ الشاذلي النيفر.

ماي 2008 : ندوة «الفلسفة في العالم العربي» بالتعاون مع كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس)

9 أكتوبر 2008 : تقديم كتاب La chrestomatie arabe du Baron Sylestre de Sacy بمناسبة احياء الذكرى الخمسين بعد المائتين لميلاده.

22 أكتوبر 2008 : ندوة «الأخلاقيات الطبية بين القيم الكونيّة والخصوصيات الاجتماعية» بالتعاون مع الهيئة الوطنية للأخلاقيات الطبية.

28 أكتوبر 2008 : تكريم الأستاذة فاطمة الحداد.

6 ـ 7 ـ 8 نوفمبر 2008 : ندوة المجمع الأوروبي حول الصحة والبيئة.

27 نوفمبر 2008 : معرض لمنشورات بيت الحكمة وتقديم كتاب «الترجمة في بيت الحكمة».

ديسمبر 2008 : ندوة «الترجمة بين النقل والتعريب» بالتعاون مع المركز الوطني للترجمة.

موفى 2008 : تدشين رصيد مكتبة عبد القادر ببو الذي أهداه ابنه عز الدين إلى المجمع التونسي بيت الحكمة.

خريف 2008 : محاضرة للأستاذ Yves Bonnefoy.

يحدد الموعد لاحقا : ندوة « الكتابة المسرحية» (تنظيم قسم الانقليزية كلية الآداب بمنوبة).

ويتضمن البرنامج عديد الفقرات والمواعيد الفكرية والأدبية الأخرى.

منشورات إتحاد الكتاب التونسيين

عنـــوان الكتـــاب	المؤلـــــف	تاريخ النشر	السعـــر
البشير خريف في عيون النقاد	مجموعة من الكتاب	2003	6 د.ت
التضامن والتكافل في الثقافة التونسية	مجموعة من الكتاب	2003	7 د.ت
في الشعر التونسي الحديث (1)	تقديم أحمد الودرني	2003	7 د.ت
في الشعر التونسي الحديث (2)	مجموعة من الكتاب	2005	10 د.ت
مختارات تونسية في النقد والفكر	عثمان بن طالب	2004	20 د.ت
انطولوجيا المسرح التونسي	سمير العيادي	2005	15 د.ت
انطولوجيا المسرح التونسي (بالفرنسية)	سمير العيادي	2005	15 د.ت
انطولوجيا الشعر التونسي ج 1 (بالفرنسية)	عثمان بن طالب	2003	8 د.ت
انطولوجيا الشعر التونسي ج 2 (بالفرنسية)	محمد القاضي	2003	6 د.ت
انطولوجيا القصة التونسية (بالفرنسية)	فرج لحوار/حافظ الجديدي	2003	9 د.ت
انطولوجيا الرواية التونسية (بالفرنسية)	فرج لحوار/حافظ الجديدي	2004	15 د.ت
انطولوجيا النقد الأدبي (بالفرنسية)	عثمان بن طالب	2004	20 د.ت
دليل الكتّـاب التونسيين	صلاح الدين الحمادي	2005	12 د.ت

وزارة الثقافة والمحافظة على التراث

المركز الوطني للإتصال الثقافي

الشّهــر الثقـافــي

نشرية إعلامية تصدر بالتعاون مع المندوبيات الجهوية للثقافة

المدير المسؤول : بوبكر خلوج ـ المنسق : محمد الأزهر الخليفي ـ

بالتعاون مع : نور الصدفي وريم الدبابي

يمكن الإطلاع على نشرية الشهر الثقافي في شكله الجديد
من خلال الموقع التالي :

www.culture.tn

ويمكن الحصول مجانا على الشهر الثقافي من خلال :

Coupon d'abonnement قصـــاصة إشتــراك

Pour recevoir **gratuitement** cette publication	للحصول على هذه النشرية مجانا :
Nom et Prénom :	الإسم واللقب :
Centre d'intêret :	محور الاهتمام :
Adresse :	العنوان :
Code Postal :	الترقيم البريدي :

Envoyer ce coupon : بعث هذه القصاصة إلى :

Centre National de Communication Culturelle المركز الوطني للإتصال الثقافي

31، نهج سيدي بن عروس **1006** ـ تونس 31, Rue Sidi Ben Arous - 1006 Tunis

الهاتف : **71 566 293** ـ الفاكس : **71 566 273**

E-mail : cncc@email.ati.tn : البريد الإلكتروني

نشريّــة الإتحاد

نشرية إلكترونية (نصف شهرية)

رئيس تحريرها : المولدي فروّج

في كل عدد

- أخبار الاتحاد والفروع
- أخبار الأدباء واصداراتهم
- متابعات
- نصوص سردية
- نصوص شعرية
- دراسات
- ملف الشهر (أدباء تونسيون قدامى)
- للاتصال والتواصل (عناوين الاتحادات والأدباء)

عناوين النشرية

http://ecrivainstunisiens.maktoobblog.com
http://uet.oldiblog.com
http://bloghotel.org/uniondes ecrivainstunisiens
htpp://bulletinuet.blog.com

مواقع الربط والتوجيه

http://uet.ca.cx
htpp://uet.fr.nr
htpp://uetunisiens.fr.tc
htpp://ecrivainstunisiens.fr.tc
htpp://ecrivainstunisiens.fr.nf

مراسلة النشرية وإرسال النصوص

ecrivainstunisiens@maktoob.com
mouldifarrouj@maktoob.com
mouldifarrouj@yahoo.fr

الجمهورية التونسية
وزارة العدل وحقوق الانسان
المحكمة العقارية

بـــــــلاغ

عملا بالفصل عدد 6 من المرسوم 3/64 المؤرخ في 20 فيفري 1964 ليكن في علم العموم ان القائمات العامة للعقارات التابعة للمنطقة حرف J من عمادة الزفزاف من ولاية سيدي بوزيد
والواقع مسحها تنفيذا لأحكام المرسوم المشار اليه اعلاه وضعت بمركز معتمدية سوق الجديد ومحكمة ناحية المكناسي
وعلى من يهمه الأمر الاطلاع على تلك القائمات والقيام اذا اقتضى الحال بالاعتراض لدى المحكمة المذكورة في أجل شهر من تاريخ صدور هذا البلاغ بالرائد الرسمي للجمهورية التونسية
والســـلام.

رئيس المحكمة العقارية
محمد المنصف الزين

الجمهورية التونسية
وزارة العدل وحقوق الانسان
المحكمة العقارية

بـــــــلاغ

عملا بالفصل عدد 6 من المرسوم 3/64 المؤرخ في 20 فيفري 1964 ليكن في علم العموم ان القائمات العامة للعقارات التابعة للمنطقة حرف K من عمادة بئر الحفي من ولاية سيدي بوزيد
والواقع مسحها تنفيذا لأحكام المرسوم المشار اليه اعلاه وضعت بمركز معتمدية بئر الحفي ومحكمة ناحية بنعون
وعلى من يهمه الأمر الاطلاع على تلك القائمات والقيام اذا اقتضى الحال بالاعتراض لدى المحكمة المذكورة في أجل شهر من تاريخ صدور هذا البلاغ بالرائد الرسمي للجمهورية التونسية
والســـلام.

رئيس المحكمة العقارية
محمد المنصف الزين

الجمهورية التونسية
وزارة العدل وحقوق الانسان
المحكمة العقارية

بـــــــلاغ

عملا بالفصل عدد 6 من المرسوم 64/3 المؤرخ في 20 فيفري 1964 ليكن في علم العموم ان القائمات العامة للعقارات التابعة للمنطقة حرف C من عمادة الهيشرية من ولاية سيدي بوزيد
والواقع مسحها تنفيذا لأحكام المرسوم المشار اليه اعلاه وضعت بمركز معتمدية سيدي بوزيد الغربية ومحكمة ناحية سيدي بوزيد
وعلى من يهمه الأمر الاطلاع على تلك القائمات والقيام اذا اقتضى الحال بالاعتراض لدى المحكمة المذكورة في أجل شهر من تاريخ صدور هذا البلاغ بالرائد الرسمي للجمهورية التونسية
والســـــلام.

رئيس المحكمة العقارية
محمد المنصف الزين

الجمهورية التونسية
وزارة العدل وحقوق الانسان
المحكمة العقارية

بـــــــلاغ

عملا بالفصل عدد 6 من المرسوم 64/3 المؤرخ في 20 فيفري 1964 ليكن في علم العموم ان القائمات العامة للعقارات التابعة للمنطقة حرف K من عمادة الرحال من ولاية سيدي بوزيد
والواقع مسحها تنفيذا لأحكام المرسوم المشار اليه اعلاه وضعت بمركز معتمدية بئر الحفي ومحكمة ناحية بنعون
وعلى من يهمه الأمر الاطلاع على تلك القائمات والقيام اذا اقتضى الحال بالاعتراض لدى المحكمة المذكورة في أجل شهر من تاريخ صدور هذا البلاغ بالرائد الرسمي للجمهورية التونسية
والســـــلام.

رئيس المحكمة العقارية
محمد المنصف الزين

الجمهورية التونسية
وزارة العدل وحقوق الانسان
المحكمة العقارية

بـــــــلاغ

عملا بالفصل عدد 6 من المرسوم 3/64 المؤرخ في 20 فيفري 1964 ليكن في علم العموم ان القائمات العامة للعقارات التابعة للمنطقة حرف K3 - K2 من عمادة السوق الجديد من ولاية سيدي بوزيد والواقع مسحها تنفيذا لأحكام المرسوم المشار اليه اعلاه وضعت بمركز معتمدية السوق الجديد ومحكمة ناحية المكناسي
وعلى من يهمه الأمر الاطلاع على تلك القائمات والقيام اذا اقتضى الحال بالاعتراض لدى المحكمة المذكورة في أجل شهر من تاريخ صدور هذا البلاغ بالرائد الرسمي للجمهورية التونسية والســـــلام.

رئيس المحكمة العقارية
محمد المنصف الزين

الجمهورية التونسية
وزارة العدل وحقوق الانسان
المحكمة العقارية

بـــــــلاغ

عملا بالفصل عدد 6 من المرسوم 3/64 المؤرخ في 20 فيفري 1964
ليكن في علم العموم ان القائمات العامة للعقارات التابعة للمنطقة التالية حرف " F " من عمادة أولاد الحاج معتمدية بلخير ولاية قفصة
وعلى من يهمه الأمر الاطلاع على تلك القائمات والقيام اذا اقتضى الحال بالاعتراض لدى المحكمة المذكورة في أجل شهر من تاريخ صدور هذا البلاغ بالرائد الرسمي للجمهورية التونسية والســـــلام.

رئيس المحكمة العقارية
محمد المنصف الزين

الجمهورية التونسية
وزارة العدل وحقوق الانسان
المحكمة العقارية

بـــــــلاغ

عملا بالفصل عدد 6 من المرسوم 3/64 المؤرخ في 20 فيفري 1964

ليكن في علم العموم ان القائمات العامة للعقارات التابعة للمنطقة التالية «السمارة» حرف A والواقع مسحها تنفيذا لأحكام المرسوم المشار اليه اعلاه وضعت بمركز معتمدية المحرس.

وعلى من يهمه الأمر الاطلاع على تلك القائمات والقيام اذا اقتضى الحال بالاعتراض لدى المحكمة المذكورة في أجل شهر من تاريخ صدور هذا البلاغ بالرائد الرسمي للجمهورية التونسية والســــلام.

رئيس المحكمة العقارية
محمد المنصف الزين

الجمهورية التونسية
وزارة العدل وحقوق الانسان
المحكمة العقارية

بـــــــلاغ

عملا بالفصل عدد 6 من المرسوم 3/64 المؤرخ في 20 فيفري 1964

ليكن في علم العموم ان القائمات العامة للعقارات التابعة للمنطقة التالية «البدارنة» حرف B والواقع مسحها تنفيذا لأحكام المرسوم المشار اليه اعلاه وضعت بمركز معتمدية ساقية الداير.

وعلى من يهمه الأمر الاطلاع على تلك القائمات والقيام اذا اقتضى الحال بالاعتراض لدى المحكمة المذكورة في أجل شهر من تاريخ صدور هذا البلاغ بالرائد الرسمي للجمهورية التونسية والســــلام.

رئيس المحكمة العقارية
محمد المنصف الزين

Que dans les coupes que tu m'offrais.
Tu se ma vigne diffuse et généreuse
- Si la vigne était idolâtrée
J'adorerai tes raisins de feu

Elle a essuyé mon front
Avec la peau fine de ses cinq doigts
Et séparé mes cheveux emmêles.
- O mon ami et mon poète.
Ne laisse pas la poigne du désespoir
Anéantir l'ambition de ta jeunesse
Toi, pour l'art tu es né et pour la poésie.
Ainsi qu'une belle étoile
Tu illumineras le monde un jour.
Quant à moi, je dois partir
Ceci est mon destin
Et toi, rejoins ô mon poète
Ton sanctuaire ! ...
Nous ne sommes pas nés
L'un pour l'autre, mon ami
Reste pour l'art, pour le chant
Pour tes écrits .../.

CELLE QUI VA PARTIR

Nizar KABBENI
Traduction de :Hamadi BELHADJ

Je suis venu la voir
Epuisé par la souffrance et le chagrin
Elle me dit : O poète de l'amour
Et des chansons qu'as-tu ?
Tiens mon mouchoir et essuie
Tes paupières imbibées
Repose-toi sur mon bras clément
Ménage, ô compagnon de la jeunesse
Tes nerfs fatigués.
Relève la tête et regarde moi un peu
O mon petit, comme tu m'affliges
Par cette détresse
Certainement nous serions toujours amis
Sois de bon augure et cesse d'être tourmenté.
- Que dis-tu ?
Comment pourrais-je supporter ma peine
Et croire à cet éloignement.
D'ailleurs où vas-tu ! et pourquoi ce départ ?
Réponds ! alors qu'à ta porte
Mes chansons ne font que te supplier.
Ma chambre n'est éclairée
Que par l'éclat de tes yeux
Et les vestiges de tes effets intimes.
N'est-tu pas pour moi une bénédiction divine
Me sentant comblé à tes côtés ?
Tu es l'asile de mes rêves vers lequel je me dirige
Pour boire le néant dans la chaleur de tes buissons
Tu es le havre où cessent
Mes plaintes et mes gémissements
Ainsi que la mer courroucée
Où vogue ma voile désorientée
Tu es la taverne de ma boisson
Quand le temps me contrarie
Ne trouvant l'oubli

VOTRE AMOUR MADAME

Nizar KABBENI
Traduction de : Hamadi BELHADJ

Votre amour madame
Votre amour est un oiseau vert …
Un oiseau étrange et vert …
Il grandit mon amie comme les oiseaux
Grandissent
Il fuit de mes doigts
De mes paupières, il picore
Comment est-il venu ?
Quand est-il arrivé, le bel oiseau vert ?
Je ne pense pas a cela mon amie
Celui qui aime ne réfléchit pas …
Votre amour est enfant blond
Détruisant tout sur son passage ….
IL me rend visite … le soir quand il pleut
Jouant avec mes sens et j'y consens
Votre amour est un enfant gâté
Quand tout dort, mon amie, il veille
Un enfant … je ne puis résister à ses larmes …
Votre amour grandit tout seul
Comme fleurissent les champs
Comme sur les pas de nos portes …
Poussent les anémones rouges
Comme sur les versants se dressent
L'amandier et le sapin
Comme dans les pêches circule le jus sucré…
Votre amour… comme l'air mon amie
Il m'entoure
Je ne sais d'où ni comment
L'île de votre amour … est extraordinaire
Un rêve…
Ne pouvant être ni raconté… ni expliqué…
Votre amour que pouvait-il être mon amie ?
Une fleur ou un stylet ?
Une chandelle qui éclaire …
Ou un ouragan dévastateur ?
Tout ce que je conçois sur mes sentiments
C'est, mon amie, que vous êtes ma bien-aimée…
Et que celui qui aime …
Ne raisonne point…/.

Ainsi que tous les espoirs
Accepte donc cette adversité
Et ses funestes conséquences,
Bientôt le trépas te sauvera
Et ton âme emprisonnée en sera heureuse.
Bien trouble est l'abreuvoir de la vie
Mais celui de l'au-delà est limpide.
Peut-être, le sombre écho
A-t-il désiré un cœur effrayé par la vie,
Que les années n'ont pu jamais apaiser ?
Et aussi, des sens chagrins menés fatalement
Par le désespoir, vers la folie ?

LE SOUVENIR

Aboul - Kacem ECHEBBI
Traduction de :Hamadi BELHADJ

Elle est morte et n'a point vécu
Elle faisait semblant de vivre
De ses mains est tombé le livre
Dans lequel elle n'a rien lu.
A. de Musset

Nous étions comme un couple d'oiseaux
Nichés dans les bosquets de l'amour loyal
Chantant la joie et l'espérance
Entre les branches touffues des arbres
Aussi ravis que les rossignols
Dans les prairies et les collines
Pour nous, l'amour a rempli
La précieuse coupe de la vie
Alors, que la vanité et l'orgueil
L'ont fait resplendir entre nos mains.
Mais juste au moment de déguster son charme,
Que, stoïque et courroucé, le trépas nous l'a retirée
Et l'a violemment brisée
Noyant dans le fleuve perfide
Du malheur et de la douleur
La liqueur sacrée de notre amour,
Le faisant ainsi périr,
En saccageant son nid
Puis, dans l'horizon morne et sombre
Il lança son cri lugubre
Et disparut derrière les nuages
Comme un ange funèbre…
O cœur affligé ! jusqu'à quand
Ce chagrin et ce mutisme ?
Grâce ! cesse de me faire souffrir
Par cette mutité et ces pleurs abondants.
L'ami est bien mort, hélas !

De ses lèvres surgissent des champs
De couleurs aussi printanières que sont les coquelicots

Les parfums m'interrogent sur son secret
Et m'inondent ses prunelles qui

Débordent de charme et d'éclats alléchants
Alors que dans sa bouche scintillent des perles

Je sens alors que dans un monde étrange
J'ai bien franchi les frontières du temps

N. Sammoud, *Rihlatoun Fi'l Abîr* (Voyage parmi les parfums), Tunis, M.T.E., 1969, p. 121.

Souvenirs de la Côte d'Azur

Noureddine Sammoud (1932)
Traduit de l'arabe par *Ali Abassi*
(Directeur de l'E.N.S.de Tunis)

« Mes yeux se retournèrent pour lui dire adieu
Et mon cœur se retourna quand elle disparut »

Il ne cessa de remuer ses souvenirs
Et de penser aux plus beaux jours de mon amour

Il s'accrochait ainsi à sa mémoire
Comme si elle était tout près de moi

Je suivais le sentier brumeux
Alors que le soleil matinal éclairait mon chemin

De gémissements, le sang faillit jaillir de mes flancs
Et mes yeux étaient imbibés de larmes

Elle était sur le sable, en son habit,
C'était de la soie enveloppant de la soie

Le printemps y puisait ses couleurs
Et les fleurs y baignaient leurs odeurs

Sur elle, les rayons traînent leurs fils
Argentés comme l'éther

L'été dérobe à son corps
La pureté de sa clarté et l'ardeur de sa chaleur

De ses genoux sourit un éclat
Tel un rayon éblouissant à travers un tube de lumière

Tandis que là-dessous coule une rivière
Chantant et chancelant d'étourdissement

Nous escaladions à l'envi les palmiers inaccessibles
Dissipant leurs régimes si beaux

Lançant les uns aux autres les dattes cueillies
Attisant ainsi une guerre amicale

Tant de fois je revins ainsi chez ma grand-mère
Les lèvres meurtries et les cils tuméfiés

Elle me prenait alors tendrement dans son sein
Contre son cœur palpitant de dévouement

Je vous vois ô mes amis, et je revois
Ces lumières scintillant parmi mes jours ténébreux

Je revois les amis sur les terrains de jeux de notre quartier
Les proches, parents et quelques voisins

Je vous revois ô mes amis avec mon âme
Qui vous est dévouée et mon cœur attendri

Nous trois ici proscrits
Par les oasis nous sommes légués à l'oubli

Le destin nous a chassés de ces paradis
Berceau des palmeraies et fief des gazelles

A. Elloghmâni, *Qalboun alâ chafâh* (Le cœur sur la lèvre), M.T.E., s.d., pp. 86-87.

Je maudis ceux qui subissent le temps
Et se contentent de vivre comme des pierres

L'univers est vivant et il aime la vie
Et méprise les morts quelque grands soient-ils

L'horizon n'embrasse l'oiseau s'il n'est qu'une charogne
Et l'abeille ne butine guère parmi les fleurs fanées

S'il n'y avait pas en moi un cœur de mère indulgente
Les fosses n'auraient jamais accueilli les morts

Alors, malheur à celui que la vie ne tentera pas
Maudit il sera par le néant triomphant.

A. Echebbi, *Aghâni'l-Hayet* (Chants de la vie), Tunis, M.T.E., 5e éd., s. d., pp. 236-240.

Les deux palmiers

Ahmed Elloghmâni (1923)
Traduit de l'arabe par Ali Abassi
(Directeurr de l'E.N.S.de Tunis)

Deux palmiers étrangers, sur la route entre Grombâlia et Béni Khalled [sur la route de Tunis à Hammamet]. Je les ai vus tremblants, un jour de pluies et d'orages.

Là, sur mon chemin, se tenaient deux troncs
Etrangers, rejetés par les oasis

Deux troncs, ici, plutôt deux âmes venues de mon pays
Enlacées dans ces contrées

Deux âmes exilées dans ces plaines désertes
Appuyés l'une à l'autre, parmi toutes ces calamités

Je les croise vers midi et je me retrouve
A huit ans, dans l'oasis de Zarât

Musardant avec les copains sous les hauts palmiers
Qui tendent leurs cimes vers le zénith

Aboul-Kassem Echebbi (1912-1936)

La volonté de vivre

Traduit de l'arabe par *Ali Abassi* (Dr de l'E.N.S.de Tunis

Si, un jour, le peuple choisit de vivre
Le destin n'aura alors qu'à obtempérer

Les ténèbres, sans doute, se dissiperont
Et les chaînes, à coup sûr, se briseront

Celui à qui manquera la passion de la vie
Dans ses cieux il s'évaporera et disparaîtra

Alors malheur à celui-là que la vie ne tentera pas
Le néant vainqueur lui assènera sa gifle

Ainsi me parlèrent toutes les choses
Et se confia à moi leur esprit invisible

* * *

Et le vent gronda parmi les chemins
Au-dessus des monts et sous les arbres :

« Chaque fois que j'ai telle ambition
Je suis l'espérance; j'oublie la prudence

Je n'élude ni la rudesse des sentiers
Ni les boulets de feu brûlants

Celui qui répugne à escalader les montagnes
Parmi les fosses vivra éternellement »

Alors le sang de la jeunesse reflua dans mon cœur
Et d'autres souffles débordèrent mes flancs

* * *

Et la terre, quand je lui demandai :
-Ô mère, détestes-tu les hommes ? me dit :

J'en bénis ceux qui sont ambitieux
Ceux qui sont téméraires

Traductions

qu'est la Vision mystique donnant lieu et, surtout, ouvrant à la thématique du monde dit *Imaginal*. Terme qu'il faudrait éloigner de celui d'imagination car il s'agirait avant tout d'un vécu. Le Mystique entrevoit par les yeux de l'âme.

Lorsque Ibn 'Arabi entreprend d'accomplir les circumambulations (Tawaf / Taoufa) autour de la Maison d'Abraham (La Kaaba), Le Shaykh-al Akbar est totalement ravi par la vision de la Bien-Aimée qui n'est autre que 'Ayn ash-Shams wa-l Bahâ', la Source essentielle du Soleil et de la Splendeur. Comme pour Qays criant à la face du monde et du Divin son amour pour Layla de la première jusqu'à la septième circumambulation autour de la Kaaba, Ibn 'Arabi proclamera à son tour le nom de Nizâm. Mais à la différence de Qays une telle présence est désormais non objet de folie mais de sereine contemplation. En tant qu'une Présence (divine), Harmonie (Nizâm) devient Lieu de contemplation d'une théophanie qui suivant Ibn 'Arabi lui-même ne relève «d'aucune forme susceptible d'être apréhendée par l'imagination, ni intelligée par l'intellect.»

Quant à la thématique de la *Nuit obscure*, nous retrouvons dans le nom même de Laylâ l'essence ou le topique de « *femme faite nuit* » laissant l'amant enivré d'amour au point de se consumer. Le concept mystique passe en Andalouse par la voix du poète arabo-andalou Ibn 'Abbad de Ronda. *Noche oscura* du *Nada* que nous retrouvons dans la poétique de Saint Jean de la Croix et Sainte Thérèse de Avila. Les sources arabe du *Nada (Fanaa*) sont désormais établies. *Nada* ou *fanaa*, comment traduire le terme sans déroger au sens ? *Finitude* serait celui qui se rapprocherait le mieux pour décrire l'anéantissement ou plutôt l'annihilation à laquelle est soumis le fervent ou fidèle et relevant de l'insignifiance relative de l'homme face au Grand-Tout. «Tu n'atteindra l'aube qu'au sortir de la Nuit.», dit le poète oriental. Le Mystique n'atteindra l'Aube qu'après la dure traversée de cet exil de l'âme que représente la Nuit totale, *Janna Al-Layl*, Nuit noire, Nuit obscure où l'âme à la recherche de l'Amant parfait se consume en essence contemplative du devenir autre.

Le récit-poème de Majnûn et de laylâ garde encore aujourd'hui tout son effet magique pour celui qui tente de comprendre que l'amour profane peut, tout aussi bien, à travers le lieu du poème lui-même, se confondre avec l'expérience mystique toujours renouvelée, ouvrant ainsi la voie à la triple interprétation bachique, érotique et mystique du poème en situation. Polyphonie d'un lexique qui dans son symbolisme utilise le même vocabulaire que l'amour profane. Chose qui pour les docteurs de la loi portait atteinte à la religion, à l'éthique et bien sûr à la pudeur, d'où l'aspect éminemment subversif de la voie mystique où la forme et le lieu du poème sont en continuelle résurrection et recherche infini de sens. Les mots n'atteignant jamais ce qu'ils désirent représenter tant l'essence contemplative est infinie. L'on a ainsi confondu certains vers du grand mystique Al-Halaj avec ceux d'Abou-Nawas, mort un siècle plus tôt.

Une tradition qui remonte à bien loin en souvenir des mu'allaqât, poèmes calligraphiés en lettres d'or et suspendus sur le Temple même de le Ka'aba, poèmes qui témoignent d'une ancienne tradition antéislamique et d'une langue d'une grande finesse et où les vertus chevaleresques étaient exaltées en exploits guerriers, en amour et noblesse. C'est aussi dans ces poèmes que nous retrouvons ce sentiment de finitude des choses de la vie et de ce monde avec par exemple la voix de Labîd ibn Rabi'a ibn Akil : «L'âme n'est qu'une flamme légère ; après s'être élevée en l'air, elle se convertit bientôt en cendres.»

Nul doute que pour tous ces poètes la femme symbolise l'ultime réalité ou voyage, Essence divine ne pouvant, par définition, être atteinte. Dernier attribut du divin, lieu par excellence où se construit le Céleste féminin en éternité du devenir du monde lui-même.

semble dire Majnûn, Majnûn Laylâ. Il est pure pensée qui s'anéantit, s'annihile. Un mot exprime cet acte en arabe : Fanna'a. Laylâ annihilée en ténèbres sur ténèbres, vagues sur vagues dans le néant des étoiles… Laylâ annihilée par l'immensité du désert de l'Amour. La lune monte à présent, lente distante et transversale, distraite à ce qui endeuille le monde. Elle se pare un instant de coquetterie, voiles fuchsias pour quelque noce sur le chemin de l'Adieu, la dernière caravane se perd déjà dans la Nuit de son destin...

Qays vacillante flamme d'un obscure flambeau se dissout dans la Nuit ; se dissout comme le sel de la mer dans l'Amour éperdu de sa Nuit et dans sa vaine totalité que nul sauf lui parvient à comprendre. Une totalité illimitée et une finitude !

La lune à son zenith infiltre de pâle et perfide clarté les sombres plis des voiles endeuillés de la jeune dépossédée. Laylâ attendra encore tout un jour et toute une nuit. Mais le jour se lèvera à nouveau sur son deuil et les nuits se suivront comme elles l'ont toujours fait depuis que le monde est monde…

À l'aube, voici qu'un vent impitoyable se lève. Un épouvantable tourbillon de poussière sépulcrale fait tomber la jeune femme. Dans sa chute, le tombeau ouvre grand les portes de la nuit éternelle, caveau où s'engouffrent les étoiles. Le frêle corps de Laylâ tombe comme chutent les étoiles en fin de course. Un cri rauque, aigu, amer, long et terrifiant l'emporte dans la mort. D'où vient le cri qui réveille ? Là haut, le sinistre vautour ou l'aigle royale ? Un squelette et des plumes, amas de mauvaise augure prêt à fourbir sur sa proie. Un instant deux corps rejoignent leur ombre. Un corps expie sur un désert sans alphabet, bientôt la tempête de sable annihilera celui-ci. Pauvre corps que la déraison de l'amour anéantit ! Et qui se souvient encore de Laylâ pour oser prononcer son nom ? Kmar demande au poète. « Avec tant de sable et d'oubli comment construire une rose ? » «Dans le désert, les roses de sable ne sont point faites pour mourir mais pour durer », semble lui répondre la voix inerte de Qays. « De mon corps qui se meurt surgit la rose, attends que le sel se consume en forme et qu'hier redevienne maintenant. Le temps dans sa totalité est à la fois mesure et incommensurabilité, espace limité et illimité. Attends qu'hier redevienne aujourd'hui ! »

Le jour se lève et les nuits se suivent, il y a longtemps que les amants ne sont plus que les ombres errantes d'un lieu jadis habité, aujourd'hui désert inhospitalier… Mais Majnûn, Majnûn Layla continue, lui, de vivre en haletantes exaltations par les poètes de la Nuit et la lune leur sert de lampadaire dans le gouffre immense où le regard s'abîme et où le silence se pétrifie en rose de sable !

Bien avant Tristan et Yseult de la tradition Occidentale : le récit de Majnûn et Layla. Mais encore…

Lorsque Ibn 'Arabi entreprend son Pèlerinage à la Mekke, c'est de Nizâm dont il est question. Comme pour Laylâ, Nizam typifie l'essence de l'Absolu divin dans ce qu'il est convenu de désigner comme la Représentation ou la Manifestation universelle du divin. C'est à Nizâm dont le nom signifie *Harmonie* que Ibn 'Arabi dédiera l'œuvre poétique suivie des commentaires connue sous le nom de *Turjmân al-Ashwaq* (L'interprète des Désirs). Nizâm parangon de la grâce et de la beauté spirituelle est en quelque sorte Laylâ. Le thème central de *L'interprète des désirs* sera dès lors envisagé sous l'ordre de l'interprétation de la vision spirituelle, celle de la plus haute spiritualité conformément à l'union de l'Amant et de l'aimé et à ce qui sera plus tard la thématique occidentale des Fidèles d'Amour. Mais tout ceci ne pourrait être compris sans un événement essentiel qui est, lui, de l'ordre de la Vision. Il serait ici trop long d'expliquer ce

cieux d'impénétrable mystère. Elle écoutait le frémissement de la nature se réveillant à la Nuit du destin du monde, crépitements des pierres, craquements insondables dans l'obscurité nocturnale. Le jour elle recherchait l'ombre bienfaisante mais dans le désert c'est une bien rare donnée, tel le songe lointain de quelque pluie. Elle rêve de l'efflorescence d'une oasis, dernier mirage où pourrait se reposer l'amant… Elle marcha longtemps guidée par une seule pensée : Majnûn ! Majnûn Laylâ ! Car désormais le nom de l'amant collait au sien. Elle récitait les vers inaccomplis, inachevés mais déjà célèbres, joutes pour troubadours en herbe ! Ses poèmes étaient sur les lèvres de tous mais on ignorait le nom de l'auteur. Du sarment de la rose, il ne restait pour le poète plus qu'un champ d'épines !

Elle retrouva enfin l'amant accroupi au seuil de l'antre béant. Mais que restait-il de celui-ci ? Ombre d'une ombre. Amaigri, son corps n'était plus qu'un fragile habitacle pour résister à l'oubli de l'âme. Épris d'un étrange mystère qui égare et brouille les sentiers de l'esprit… Fou ou mendiant ? Ombre et rien qu'une ombre ? Fauve ou prince des poètes ? Satyre ou ami des gazelles ? Bouche d'ombre parfumée ou sombre caverne sans fond ? Trou aveugle traversé d'un rayon de lune perfide ? Image sur un mirage ? Brûlure et rien que brûlot ? Folle déraison et rien que folie ? Spectre dans la Nuit profonde de l'âme ? Souffle et agonie d'un éternel cadavre ? Infinie courbure d'un temps où la Nuit, éternelle Nuit de l'espace et du temps, annihile toute pensée d'amour constellée… Le nom de Laylâ suffit à Majnûn et sa Nuit est, à présent, un lieu que nulle carte et découpage géographique n'indiquent. J'ai moi-même recherché ce pays et n'ai rien trouvé. J'ai mis la conque vide, compagne de mes jours d'ennui et de mes nuits sans sommeil, à mon oreille droite pour entendre les lointains remous d'une contrée d'outremer : « Majnûn, Majnûn Layla, Majnûn Layla répétait inlassablement l'écho… »

Le Fou à l'Aurore de son inaccomplissement lui parla avec les mots exsangues d'une pauvre raison. Car il ne voyait plus devant lui qu'un frénétique corps évanescent, maigre et tremblant, légère brume bleue dans l'éclat d'un ciel de blanc plombé. Laylâ n'était plus que l'essence d'un mystère d'impénétrable méconnaissance. Au grand miroir de l'oubli, Laylâ n'était plus qu'une pauvre image qui flue. Laylâ était le jour et Qays la nuit qui précède le jour.

Le fou lui parla, sans trop savoir s'il s'adressait à elle ou à l'image du spectre du souvenir. Qays n'avait plus besoin de la présence de Laylâ puisque Qays était dans l'absolu de la Présence.

« Pourquoi es-tu donc revenue, Laylâ ?
Repars,
Retourne d'où tu viens,
Rejoint les tiens, Repars et ne reviens pas.
Laisse-moi penser à Laylâ,
Laisse-moi penser à ma Nuit.
Laisse-moi penser au lever de lune sur le chemin de l'Adieu.
Ils furent nombreux ceux qui oublièrent le chemin après l'avoir emprunté.
Je suis de ceux que l'oubli persécute.
Je suis de ceux qui ne sais et ne désire oublier.
Pars, laisse moi penser à Laylâ.
Pars car à présent, je suis la Nuit.
Je suis ma Nuit.
Je suis Laylâ. »

La déraison dit encore Ibn 'Arabi a des raisons que la raison ne connaît point.
Comment peut-il dire à qui veut bien l'entendre qu'il est Laylâ ? « Je suis Layla.» répète l'écho de dune en dune et de caravane en caravane. Certains le plaignent et le prennent en pitié. D'autres font encore semblant d'ignorer son nom… Le bruit se répand que le poète est fou d'amour !
« Pars, laisse-moi penser à Laylâ, cette totalité sur le chemin de l'Adieu ! » Voici ce que

mon destin ! Mon maléfice et ma joie !» La lune glisse son blanc sourire sur le linceul de sa grande peine. Elle semble lui dire à présent. « Tu condamnait tantôt ma solitude, mais te voici à présent chacal égaré de la tribu des hommes, bête fauve, puante de déraison ! »

Quand les coursiers haletants eurent parcouru plus d'un chemin faisant briller mille étincelles sur l'enclume de leurs galops, voler poussières et fait trembler la terre... Quand les coursiers pâmés de cendres et sueurs du combat s'en retournèrent aux sillons labourés par d'antiques songes princiers... Points blancs des destriers et bannières noires, tourbillons étincelants du sable des guerriers et galopades effrénées d'alezans aux brunes crinières endiablées... Ils apparaissaient pour disparaître aussitôt derrière quelque ondulation de dune, chevauchant leur monture d'halte en halte... Quand les coursiers haletants ramenèrent l'Etrangère soumise à son destin de femme et à l'honneur de sa tribu, le cœur de Majnûn ne voyait plus que des ombres indistinctes s'avancer vers lui.
Majnûn la regarde et retient son souffle. Elle semble atteinte du même blâme et du même mal qui est le sien.
Elle avait maigri ; pâle et tremblante, elle n'était plus que l'ombre d'elle-même. Mais que peut-il contre ce qui l'accable et accable Laylâ?
Il était beau, elle était la plus belle. Enfants, ils jouaient et riaient ensemble. Ce fut un temps et la lune, Kmar leur paraissait de sucre et de miel ! Ils s'enivraient à regarder passer celle-ci sur leur jeunesse. C'était en ce temps là et en ce lieu que l'on dénommait de l'insigne nom d'Arabie heureuse. J'ai moi-même cherché ce pays d'or et de bonheur. Hélas, nulle carte ne l'indique désormais ! Et les dictionnaires parlent d'un pays qui n'est point celui que recherche mon âme inquiète au souvenir d'amours d'autrefois !

En ce temps là, ils grandirent ensemble et la lune leur paraissait toujours de sucre et de miel ! En ce temps là un terrible mal s'empara de son jeune esprit lorsqu'il se prit à désirer grandir en poète. Le ver était dans le fruit avant d'éclore, mais Qays ignorait cette chose. Qays aimait à badiner avec les mots. Mais ses paroles enflammées rendaient l'amour éprouvé, indésirable aux yeux de la tribu. Il savait la chose impardonnable ! Mais Qays exultait avec les mots de l'amour obscur, vains éclats au mirage d'un cruel tabernacle scellé par la coutume. La rumeur montait par vagues successives soulevant la lame de fond et la terre toute entière se mit à trembler au seul nom de Laylâ ! Il savait que s'il chantait Laylâ, il la perdrait. Il savait tout cela, la lune aussi savait cette chose. La lune perfide et muette ne tarda point à changer son sucre en sel et son miel en fiel.

Qays éventait son amour et vantait la beauté de ses poèmes. Laylâ devint poème et le poème enchaîna Qays dans l'abîme sans fond de l'ivresse des mots. Vaines paroles, bûches ardentes pour braises féeriques et monceaux de cendres pour aubes sans lendemains !

On maria Laylâ à un autre que Qays. Mais laylâ se révolta et chercha dans la nuit du désert l'amant nu, étrange nudité sans nom. Elle apprit qu'on l'appelait Majnûn à cause de l'errance de son âme et de sa déraison. Mais cette déraison était dans sa raison à elle. Une folie que les poètes connaissent bien et qui dénude l'Amour. Elle le chercha partout, dans l'ovale sans tain du miroir sombre des puits d'absence, sur les traces d'anciennes mers recouvertes de sels calcinés, sur les pistes pour chameliers et dans les grottes immondes où viennent trouver abris les mauvais esprits esseulés et leurs pensées malsaines. Au début, elle marcha jour et nuit. Puis elle voyagea surtout la nuit afin d'éviter le terrible piège des chaleurs torrides et de la soif qui ne pardonne point. Elle marchait dans la nuit de l'âme sous la clarté de la lune et du ciel constellé de milliards d'étoiles comme autant de points d'or désignant l'infini lointain des

La Lune,
Laylâ
Et Majnûn.

Aïcha Ibrahim

Ibn 'Arabi dit.

« Elle n'était vertueuse que pour lui
Et il n'était vertueux que pour elle. »

« Si un autre que lui l'avait désirée
La terre, avec violence, en aurait été ébranlée. »

Elle ne se nommait point Lune : Kmar, mais « Femme faite Nuit» : Laylâ.
Femme faite Nuit ou Nuit faite Femme ?
Femme pour la Nuit, mais pour quelle Nuit ?
Que veut dire Nuit ? Que veut dire Femme ?
Abîme profond où se consument les étoiles : *Janna- Al- Layl, il fait Nuit noire.* Paradis des Mystiques. Enfer des égarés.

Lui, Majnûn ou encore Qays Majnûn Leylâ… Majnûn le Fou perdait la raison pour sa Nuit, sa folle Nuit. Sa folle Nuit, porte de l'Abîme… Majnûn, le Ravi, le Possédé se consumait de Nuit noire. Majnûn poussière de cristal éparpillée et eau sombre qu'une lune hagarde découpait en fines lames de métal. Expression d'une douleur sur un champ de larmes vitrifiée. Désert de glace ; immensité froide de sa solitude sidérale… S'avait-il du moins qui était l'acteur de son drame ?

Kmar, la lune dans son inquiétante indifférence et sur son calme sourire semblait lui susurrer :
«C'est bien toi Qays que je blâme.
C'est bien toi le coupable.
C'est toi et encore toi qui avez soulevé tant de fureur parmi les tiens.
Les tiens et les autres, Majnûn !
C'est toi que le monde blâme.
Pars vivre avec les bêtes sauvages et goûte au sourd langage des pierres.
L'Amour n'est point de ce monde ni de l'Autre d'ailleurs !
Le couple fut chassé du Paradis.
Et l'Eternité de ce que tu cherches à assouvir n'est point de cette terre
Et encore moins de ce désert où nulle ombre ne pourrait calmer l'ardeur de tes
Jours que les mirages, faux miroirs où dansent les djinns, rendront encore plus
Fous tes désirs secrets et bafoués ! Pars et ne te retourne point sur les pas effacés d'un prétendu amour qui jamais ne fût ! »

Qays regarde stupéfait cette folle du logis, perchée là-haut sur son faux donjon, rondeur pleine de morgue et de suffisance, comme figée dans le royaume de son éternelle solitude. Que peut-il contre cette lumière ? Nour qui accable ses nuits, nacre et calice amer de ses pensées calcinées ? Nour, lumière de son désespoir… Flambeau de ses illuminations ! Comète de ses délires ! Seul avec kmar en déloyale distance… Seul et abandonné de tous, éternellement esseulé !

La lune accompagne l'exil d'une marche sans fin. Déambulation d'une ombre à la recherche du puits qui étanche la soif, mais l'eau se fait rare et le puits s'éloigne. Errance d'une âme que l'acide des jours et des nuits corrode.

La lune est bien le lieu cruel où monte sa peine ! Sphère glacée à la lisière des mondes où coulent d'impénétrables oasis de mystère et d'oubli ! Kmar dédaigneuse de la Nuit de la Terre ! « Kmar c'est toi qui devrait déserter les lieux ; Kmar laisse-moi à ma sombre Nuit. Il fait Nuit noire en mon âme ! »

L'oubli est son bourreau et Qays ne veut point oublier. Le père de Majnûn le supplie de prier Dieu pour la guérison de cette folie sans nom. Mais Majnûn, à la Mecque, par sept fois parjure. « Non, c'est Laylâ que j'aime. Soleil noir de mon éclipse et de la Nuit de



Aïcha Ibrahin

Lettres en mouvement ou la naissance de la calligraphie

Essai

D'une lueur de remords
D'avoir aimé un être mort.

Souviens-toi...

Souviens-toi...
Quand tu vois le couchant
Qui remplit le cœur d'émoi
Et nous rend de nouveau enfants
Souviens-toi...

Quand les ondes se battent
Et se réconcilient sur la rive,
Sous un ciel écarlate,
Aux lueurs lascives
Souviens-toi...

Quand règne le crépuscule du soir,
Et que la cité se pare de lumière,
Cherche mes souvenirs dans ton armoire,
Essuie de mes chants la poussière
Et souviens-toi...

Et un temps que j'ai aimé
D'un amour immortel ;
Voici mes fades journées
Dont s'est lassée la prunelle.

Je rêve tant

Je rêve tant
D'un autre chant,
Qui parvient
Aux pays lointains.

Je rêve tant
D'un autre temps
Où les passions
Défient les monts.

Je rêve tant
De voguer sur l'océan,
Pour ressusciter
Mon amour défunt.

Laisse-moi chanter

Laisse-moi chanter,
Ta joie et ta beauté,
Qui grisent mes paroles
Où la musique s'affole.

Et quand tu n'es plus là,
J'ai le cœur qui est las,
Mon âme perd la voix,
Infirmes deviennent les doigts.

Ne pense pas au départ,
De peur que mes chants ne se parent,

Houda Trabelsi.
Maîtrise de français, juin 1997, à la Faculté des Sciences Humaines et Sociales.
Recrutée par le Ministère de l'Education et de Formation en 1999.
Parution du premier recueil: *Hymne à la Linguistique* en 2005
Parution du deuxième recueil: *Le Sentier du bonheur* en 2007
Le troisième recueil, *Les Fleurs de L'âme*, dont nous donnons ici quelques extraits, est à paraître) en 2008.
Membre des *Cahiers de Poésie*, revue qui paraît à Paris.

Agrément

Apprends-moi à regarder le couchant vermeil,
Sans le cœur frissonnant,
Apprends-moi à détourner l'œil de ces merveilles
A fuir l'enchantement.

Dans la belle nature au soleil radieux,
Au ciel embrasé,
Où ressuscitent les pensers cadavéreux,
Nés pour l'éternité.

Un recueillement peuplé, sous la nuit lumineuse,
Où chante le printemps,
Qui fait semer, dans les champs, les fleurs précieuses,
Dans la vie, l'agrément.

Apprends-moi à transir devant la ferveur
Qui consume la grêle,
Eteindre le feu qui allume la noirceur
Et toutes les chandelles.

Ennui

Des feuilles éparpillées,
Des insomnies continuelles,
L'odeur de la fumée,
La pénombre des chandelles,
Une parole semi engendrée,
Un ennui éternel,
Une foule que fuit la Beauté,
Pour qui tous les mots s'entremêlent

L'âne et la gazelle

Mohammed Ghannem
Hommage à La Fontaine

Un âne, admirant sa force et ses sabots,
Gonfla sa poitrine et leva haut ses oreilles,
Copiant l'allure d'un cheval ou d'un robot,
Se frottant le nez sur un bon bout de paille,
Flatté sans raison, peut-être, par des corbeaux,
Ramassant boulons très anciens et ferraille,
Se croyant malin, encore jeune et beau,
Se dirigea vers la prairie, fier de sa taille.
Il rencontra la gazelle bondissant haut.
L'âne crut au défi, regarda la muraille
Et proposa à la bête agile un seul saut.
Devant le sérieux du premier de la racaille,
Celle-là accepta alors sans crier mot,
Visa bien et vigoureusement la faille.
La belle bête ne fit que courber le dos
Pour passer, méritant ainsi une médaille
Tellement le saut éclair était bon et beau.
Vint le tour du condamné à l'eau et à la paille.
Il dansa, avança et sauta, gras et gros,
Sa tête heurta durement la muraille.
Il se mit à compter ses erreurs et ses maux.
La gazelle partit disant : « quelle bataille ! »
Laissant le baudet parlant juste mais pas faux :
« Il ne faut se frotter qu'aux bêtes de sa taille
Théoriquement, parfois, ni toujours, ni trop.
Qui veut voir les étoiles en détail
Doit, comme moi, brouter herbe fraîche et non paille.

N.B. l'âne existe au siècle de l'ordinateur et de l'Internet

Galère et lumière

Hédi M'RABET

Elle était pure et claire,
Mon enfance,
Pleine de lumière,
Douce et intense,

****

Elle était dure de fer
Mon enfance,
Plutôt précaire,
Chaotique à outrance,

****

La joie y fuit l'effroi,
La quiétude l'errance,
Et la rude dépendance du froid.....
Ligote la délivrance

****

J'ai vogué dans la galère
Dépressions et turgescences,
Traversé l'immense désert :
Amertume et Turbulence...

****

J'étais toujours acculé
A marcher sur la souffrance
Mais le cœur n'a jamais basculé
Dans la rancœur et l'intolérance....

Tunis / Mourabitine.

L'autre se laissant emporter.

Oui, nous étions téméraires
Et nous voulions tout dépasser,
Nous étions, aussi, bien fières
Et d'une candeur insensée.

Nous enivrant de vitesse
Nous étions bien exaltées,
Et voisines et poétesses,
Nous rêvions de sublimes faits:
Comme de tenir la barre
De quelque vaisseau ou fusée
Ou de voler tel Icare,
Sans tomber dans la mer Egée.

De ce fugace souvenir
Me reste chaude nostalgie
Si à Casa, je sais revenir
Je ne sais plus où est l'amie.

SUR UN BOLIDE A CASABLANCA

Najette Ouerghi

Par les soirées d'hiver tiède
Où les étoiles se paraient,
Filait, filait un grand bolide
Conquérant, quasi ailé.

Deux jeunes filles charmeuses
A l'âme tout en fantaisie,
L'une étant casablancaise
L'autre venant de Tunisie,

Partaient comme sur des ailes
Ou un tapis d'or de rubis,
Les cheveux s'envolant rebelles
Tels des oiseaux sombres et hardis…

A Casa, sous les réverbères,
Très vite, on roulait, roulait,
Le nez au vent, moi je voulait
Saisir au vol tous les mystères,

L'amie voulait tout savourer…
Deux conquérantes nous étions
Et chasseresses de beauté
Que de refrains, nous poursuivions,

*

Sur le côté, près des faubourgs,
Que de cœurs pour nous chaviraient
D'admiration ou d'amour,
Même la nuit nous souriait!

*

C'était l'heure de la ballade
Après un cours fort bien mené,
Lors s'entamait la «cavalcade»
Sur une moto toute chromée.

L'engin! Un Yamaha? qu'importe!
Comme une flèche s'en allait
Une fille devant, alerte,

Joie, régal,
Mélodies,
Toutes les cigales
Chantent
Sur les pentes
Sous les voûtes
Ou près du puits.
*
En accord
Avec ces souffles damassés,
Dès l'aurore
Les feuilles larges ou élancées
Eventent les berges
De leur soie claire, parfois foncée,
Alors Eole
S'envole
Et fait vibrer
Sa douce viole:
Chant et gaieté…
***
Or le soir, dès qu'il fait noir
Eole se pare
Devient hardi,
Il ouvre le bal des interdits
Pince le luth ou la cithare,
Et…
Oh! mais chut!
Le reste se voile,
C'est la nuit,
Disent les étoiles:
Point n'est permis
De révéler tout ce qui suit…
*
Reste l'histoire
Qui me ravit:
L'été suave
De mon pays,
S'étire, se libère
Et me redit
Son conte de lumière
Plein de magie…

Qu'est ce que j'en dis?
J'en sui éprise,
Pour la vie,
Je vous avertis!

(1) La mer méditerranée (traduction libre de l'auteur).

Conte lumineux de Tunisie

Najette Ouerghi

Il frétille et flirte
Effleure et heurte
Les herbes vertes
Des chemins.

Il file au fil des brises
Et brise en douceur
La chaleur et la torpeur
De juin.
*
Le voilà
Qui libère les légères
Ecuyères des rêves
Qui s'élèvent et virent
Et volettent, lumineuses,
Sur le jasmin
*
Car Eole, sans but, se gondole,
Batifole dans les venelles et rues
Et déverse de sa bourse des pétales
Qui s'étalent sur les maisons blanches
Sur la menthe et les branches
De basilic,
*

Puis se dresse
Et se laisse emporter par des fées
Qui dansent et s'élancent
Sur la Mer Blanche du Milieu[1]
Et, malicieux,
Eole se charge et nous gorge
De douceurs…
Et s'il se lasse de ce jeu,
Il pourchasse en d'autres lieux
Des déesses aux longues tresses
En ces heures encensées et poudrées
De l'été.
***
Brises matinales
Ou de midi,

Najette Ouerghi

Poétesse Tunisienne
Née à Téboursouk (Tunisie)
Etudes primaires: à Téboursouk
Etudes secondaires: à Tunis (Lycée Montfleury)
Etudes supérieures: Au Canada- En France puis en Tunisie.
Profession: Inspectrice de l'enseignement.
Najette Ouerghi est titulaire d'une licence de langue et littérature russes et d'une maîtrise de langue et littérature françaises.
Elle écrit des poèmes aussi bien en français qu'en arabe et s'essaie à ses heures à la poésie d'expression russe.

Ses écrits poétiques parus:
Nuages, recueil poétique d'expression française. 1993.
Saïdane Edition (Sousse-Tunisie).
Je ne suis pas poète...! recueil poétique écrit en arabe. 1996.
Sahar Edition.
Amours proches et lointaines, recueil poétique d'expression française (2003).

Les prix:
Prix Club Tahar El Haddad (Poésie en langue française) 1990.
Prix Club Tahar El Haddad (Poésie en langue arabe) 1992.
Prix de la francophonie auprès de l'UNESCO 1996.
Prix «Zoubeïda B'chir» (du CREDIF) 1997.
Médaille des Forces Armées Tunisiennes pour un poème à l'occasion de la fête des Forces Armées Tunisienne 1998.
Chevalier de l'ordre du mérite culturel Tunisien (1998).

إلى روح جان بلّيقري

عبد المجيد الحوسي[4]
تعريب محمّد كمال الدين قحّة

تشعّب الصدى
و حاصرت أصابعنا أسلاك السياج
كنّا نسير
بين نثير الكلام
وملامح السرد القديم
حيث يترعرع الخيال
صهارة هوجاء
تنتشي لها الشموس
و الكروم المستعرة
و الأزل شاهد
أيّ نفس للذكرى
لذكرى زمن يستحي منه الزمن
و يسجد
كنّا في نشيدنا
دما
خروجا
عنفوانْ
كنّا نشيدا شاخصا
ذات سحر
يرتّل العوالم المنحسرة
يوشّحها خطوطا و تخوم
ثمّ نوقد في طلوع القمر
لهيبا لكلّ النجوم
و البحر حاجزنا
و البحر متراسنا
و البحر خليلنا
لا تضيننا إلّا الأصوات المتشابكة
و شجارنا المفزع الهزج
و الليل يندي رؤوسنا

السرد يا صاح
أديم مطلق
علمنا الموت و الصخب
السرد
نسيج ذواتنا
صوف ناعم أبيض للاحتفاء
السرد يقيم لنا
بعض منعطفات صروح الخرافات
بين شوكتي ساعتين قائمتين
في مجال العبور المطلق

[4]. Exceptionnellement, et à la demande du Professeur Abdelmagid El-Houssi, nous donnons dans la partie française d'Al-Massr, le texte de la traduction du poème « Pour Jean Pélégri », composé pour ce numéro du supplément.

un sol absolu
où nous apprenions la mort et le vacarme
le conte
en nous tissé
jusqu'à l'aube
comme une laine blanche et soyeuse de fête
le conte en nous tissant
quelque tournant d'histoires
entre deux caps
d'heures

à l'infini de la traversée

[...]Pour Jean Pélégri

Abdelmagid El-Houssi

Forêts de voix
tâtonnements dans l'enclos
nous allions
parmi les mots
de tout récit
sur des traces oubliées
– quel éblouissement
mon ami
les mots anciens
où germe
le magma d'images
houleux
ivre
de soleils
de sarments et de feu

au vu de l'éternité

Quel souffle
pour appeler
le temps plus beau que nous
le temps
où nous étions en nous
un sang
un complot
une émeute
le chant immobile
de tant d'univers éteints
certains soirs
où nous épelions des visages
dessinions des formes à contours
de terroirs
allumions au lever de la lune
un feu à toutes les étoiles
avec la mer garde-fou
avec la mer parapet
avec la mer fidèle
à la seule clarté des clameurs
aux querelles
effrayantes et heureuses
qui soufflaient l'argile
irriguée de lueurs
dans l'humidité nocturne

Le conte
mon ami

Le Choeur

Pour vivre notre veille
au délice de conte

Il dit

Le conte en nous tissé
jusqu'à l'aube
comme
une laine blanche de fête

Le conte en nous tissant quelque tournant d'histoire entre deux caps d'heures
À l'infini de la traversée

avec ses chants de cités lointaines
jubile soudain
la voyelle de l'absent

à nos gorges jusqu'au sang

Le fragment portant
plus loin plus haut
là où vont les soleils ardents
tels qu'ils nous surprennent
sur le sable assis
le coeur plein éperdu
dans le vent de l'aveu
multipliant nos mots
pour nous éclabousser
de rosée le matin venant

Et c'est d'un même élan
à tout cet élan lié
que tout le désir encor
dans l'air de mot en mot
court aux mille et une nuits
du récit épouses elles-mêmes
et filles d'autres nuits

Le Coryphée

— *Mais qui donc n'a pas veillé ces nuits-là ?*

Il dit

Là
nous sommes parmi les mots
de tout récit
sur des traces oubliées
— quel éblouissement !

dans les mots anciens

le magma d'images

houleux de ce désir
qui se jette à la mer de Tâ
au voeu de l'éternité

Le Coryphée

Pour allumer au lever de la lune
un feu aux étoiles

Le Choeur

Ô désir !
parmi les conteuses engendrées et leurs contrées
saisissable au feu de nos plus belles folies
désir au parfum de femme
dans les grands et hauts lits
soyeux du soupir et de la caresse

Le regard se vêt au souffle
berceur et doux et la nuit
— ô Récitante !
se vêt de ton conte
la nuit enflamme nos sens
au verger des poursuites

Du secret à l'extase
d'entre fleurs et jardins
jusqu'à l'état lu
le parfum terrestre de ta voix

Il dit

La nuit s'incline devant ton conte
ouvrant sa vaste tresse
aux fastes du langage

Un radieux sillage
comme un plaisir sexuel

Le fragment sur ses laisses
court de mot en mot
les yeux clos et l'index
sur la bouche

Vaste le chant
que j'apprends avec toi
de nos défaites et cendres
de cette planète
il a la beauté
des silences
d'un autre moi-même

Le Choeur

Comme dans nos desseins
– ou souvent dans nos actes
la geste parmi nous

Domani All'alba (Demain à l'aube)

(Extraits du recueil bilingue, publié en Italie par La Rose en 2006)

Abdelmagid El-Houssi

Voix a solo

Ainsi le désir vint-il à nous
dans sa vaste saison
dans ses grands plissements nocturnes
– tout le désir
à sa louange de désir

D'une seule foulée
avec les fleuves du conte
et les vents
qui portent les étoiles
au sort de la passion
qui meut le monde

Ainsi vint-il à nous
dans sa substance
dans sa chair
dans son poids de désir
— ô nuit
à pleine main
à pleine bouche
tu nous as ouvert
tes strophes attifées
de songes et fièvres

éveillé à toute heure
à terres lointaines
et défait nos corps
au faîte de l'instant

Nous
hommes encore
épris des longs récits
comme d'un vin macéré
dans la volupté des attentes
lumineux mobile
d'une vertu berçante
que l'oeil est menacé
et la voix à la caresse
étourdie et noyée

Poésies

78 *Iris Ifriqiya,* Paris, Saint-Germain-des-Prés, 1981
79 *Le verger des poursuites,* Paris, Noël Blandin, 1992
80 *Des voix dans la traversée,* Tunis, L'Or du Temps, 1999, Prix Comar 2000, Tunis
81 *Le regard du cœur,* Torino-Parigi, L'Harmattan, 2002 (version bilingue, trad. et préf. Graziano Benelli)
82 *Une journée à Palerme,* Paris, Idlivre, 2004
83 *Le Lendemain à l'aube,* Torino, La Rosa, 2006 (version bilingue, trad. et préf. Antonella Emina)

Associations académiques internationales

- Membre de : A.D.E.L.F.(Association des écrivains de langue française) 38, rue du
  Faubourg St. Jacques, 75014 Paris

- Membre de : ALF(Auteurs de langue française)Sherbrooke (Québec – Canada)CP 697 –
  J1H 5K5 – Canada

- Membre de : ALA (African Literature Association) 1346 Connecticut Sve. NW Washington DC 20036 (USA)

- Membre de : APELA (Association internationale des études des littératures africaines)
  100,
  rue de l'Université, 75007 Paris

- Membre de : ACLC (Association des chercheurs de littératures comparées)Université
  de la Sorbonne, rue de la Sorbonne, Paris ; Université de Lyon III, Lyon ; Université
  Stendhal, Grenoble. - Université de Varsovie

Autres activités

84 Membre du Conseil Scientifique International de la Revue : *Le Maghreb Littéraire,* Toronto (Canada).
85 Fondateur et Directeur des *Quaderni dell'Istituto di Lingue dell'Università di Ancona*
86 Collaborateur de la Revue Scientifique trimestrielle *Prisma* (Italie)
90 Membre du Comité scientifique et de la Rédaction du *Bulletin de la SELEFA* (Société d'Etudes Lexicographiques & Etymologiques Françaises & Arabes), 52, rue Hoche, 93500 Pantin (France)
91 Membre du Comité Scientifique National de la Fondation Ignazio Silone (Via Cunfida, 20 – Roma)
92 Président de la Délégation de la Région de la Vénétie de la Fondation Ignazio Silone.

59 *Mots dérivés de la racine* ***ĠWR*** in *Bulletin de la SELEFA, n° 2,* Paris. Geutiner, 1er semestre 2003, pp. 15-16

60

61 *Ces murmures montant, descendant par un passage de forme : à propos de l'écriture tunisienne de langue française* in *Interférences culturelles et écriture littéraire* – Actes du Colloque organisé au siège de l'Académie Tunisienne des Sciences, des Lettres et des Arts du 7 au 9 janvier 2002, « Beit al-Hikma », Carthage, 2003

62 *Mots dérivés de l'arabe* ***qubba*** in *Bulletin de la SELEFA, n° 3,* Paris. Geuthner, 2ème semestre 2003, pp. 15-17 et p. 10

63 *A propos de l'arabe* ***ğarra***, *Bulletin de la SELEFA*,n° 4, 2004 (2ème semestre 2004), pp. 6-11

64 *Voyage par l'Italie de l'arabe* ***Fondouk***, *Bulletin de la SELEFA*, n° 5, 2005 (1er semestre 2005), pp. 23-27

65

66 *Le français en Tunisie, aujourd'hui et demain* in *Où va la francophonie au début du troisième millénaire ?*, Actes du Colloque de Bari (4-5 mai 2005), sous la direction de Giovanni Dotoli, Bari-Paris, Schena Editore et Presses de l'Université de Paris-Sorbonne, 2005

67 *Retour sur l'étymologie de* ***felouque***, BULLETIN DE LA S.E.L.E.F.A.,SOMMAIRE du n° 6, Paris Geuthner (2ème semestre 2005), pp. 15-21

68 *Sur les usages du mot* ***roumi***, BULLETIN DE LA S.E.L.E.F.A.,SOMMAIRE du n° 7, Paris, Geuthner (1er semestre 2006), pp. 11-18

69 *Un document ethnographique étonnant d'Eugène Fromentin : Une tribu dénommée Arba en marche dans le désert,* in *Le Sahara et l'homme, un savoir pour un savoir faire,* Actes du Colloque à Douz du 27 au 29 déc. 2003, La Chaire Ben Ali pour le Dialogue des Civilisations et des Religions, Tunis, févr. 2006, pp. 99-107

70 *Sur* ***gaouri*** *et ses ascendants,* BULLETIN DE LA S.E.L.E.F.A.,SOMMAIRE du n° 8, Paris, Geuthner (2ème semestre 2006), pp. 1-8

71 *La Bi-langue dans la trilogie algérienne de Mohamed Dib*, in Enrica Galazzi & Chiara Molinari (eds), *Les français en émergence*, Berne, Peter Lang SA, Éditions scientifiques internationales, 2007, pp. 73-94

72 *L'arabe kāfir et le latin infidelis* (in coll. avec Roland Laffitte), BULLETIN DE LA S.E.L.E.F.A.,SOMMAIRE du n° 9, Paris, Geuthner (1ème semestre 2007), pp. 1-12

73 *Albert Memmi ou l'art de conter : une écriture réconciliée*, in *Histoires coloniales, héritages et transmissions*, Colloque du 18-19 novembre 2005, Paris, Bibliothèque Centre Pompidou, 2007, pp. 183-195

74 *La « Côte occidentale italienne » et la « Sicile » de Guy de Maupassant* in *Osmose ethnoculturelle en Méditerranée,* Actes du Colloque organisé à Mahdia du 26 au 29 juillet 2003, Tunis, La Chaire de Ben Ali pour le Dialogue des Civilisations et des Religions, mai 2007, pp. 111-118

Poèmes et romans

75 *Je voudrais ésotériquement te conter,* Padova, Quick-Press, 1972

76 *Imagivresse,* Padova, Rebellato, 1973, Prix Università di Padova, 1973

77 *Ahméta-ò,* Abano Terme (Padova), Francisci, 1981

40 *Tahar Ben Jelloun: une écriture de la fêlure,* in *Rev. Celfan,* II, 3, (1983), Dpt. of French and Italian, Temple University, Philadelphia, PA, 19122 (USA), pp. 10-14.
41 *Une littérature différente : le cas marocain de la génération de 1967,* in *Rev. Celfan,* Temple University, Philadelphia, PA, 19122 (USA), pp. 20-22.

42 *Penser la différence : approche d'une lecture du chapitre 'Série hasardeuse' de La mémoire tatouée d'Abdelkébir Khatibi,* in *Les Discours Etrangers : Production et Réception,* Colloque Annuel (2/3/4 avr. 1984), Alger, Office des Publications Universitaires, 1986.
43 *La halte et le passage dans les deux romans Talismano et Fantasia de Abdelwahab Meddeb,* in *Le Culture esoteriche nella letteratura francese,* Pavia, Schena, 1987, pp. 279-298

44 *Une lecture d'Un été dans le Sahara d'Eugène Fromentin : un au-delà de l'exotisme,* in *Actes du Colloque international de l'Université Lyon III, Exotisme et Création,* (1983), Lyon, L'Hermès, 1986.
45 *La halte et le passage dans Un été dans le Sahara d'Eugène Fromentin,* in *Voyage imaginaire, voyage initiatique,* Moncalieri, CIRVI, 1990, pp. 109-119.

46 *Emergences narratives de la révolution dans l'œuvre de Kateb Yacine,* in *Le Banquet maghrébin,* Roma, Bulzoni, 1991, pp. 135-175.
47 *Poésie tunisienne de langue française,* in *Poésie méditerranéenne d'expression française 1945-1990,* Bari, Schena-Nizet, 1991, pp. 292-366.
48 *"Maghreb" ou l'occident des signes : parcours d'exil, dérives* poétiques, in *Africa-America-Asia-Australia 14,* Roma, Bulzoni, 1993, pp. 57-74.
49 *Pluralità Maghrebina,* in *Immigrati adulti in classe,* IRRSAE-TOSCANA, Firenze, 1993, pp. 49-73.

50 *Arabismi in Italia,* in *Immigrati adulti in classe,* IRRSAE-TOSCANA, Firenze, 1993, pp. 225-230.
51 *Méditerranéennes: la filiation intraitable,* in *Cahiers de Philologie,* Faculté des Lettres de Würtzburg (Germania) 1993, pp. 91-104.
52 *Albert Camus ou le désir de Méditerranée (Texte de Camus : «poème sur la Méditerranée»),* in *Studi in onore di Giuseppe Bellini,* Africa-America-Asia-Australia 15, Roma, Bulzoni, 1994, pp. 83-95.
53 *De la dualité du mythe (A. Camus, L'envers et l'endroit),* in Revue des Sciences Humaines des Facultés des Lettres des Universités Cadi Ayyad et Ibnou Zohr, Agadir, Marrakech, Maroc, 1996, pp. 159-166.
54 *L'éveillé et l'endormi dans Les Portiques de la mer de Chams Nadir* in *Regards sur la littérature tunisienne,* Roma, Bulzoni, 1997.
55 *Flaubert et Carthage,* in *La Cité Méditerranéenne,* id. pp. 75-124.

56 *Le conte tunisien,* in *Le récit méditerranéen d'expression française (1945-1990),* (a cura di G. Dotoli), Fasano, Schena Editore – Paris, Didier Erudition, 1997, pp. 399-488.
57 *Louis Bertrand ou le mythe de la colonisation* in *Awal n° 16,* Editions de la Maison des Sciences de l'Homme, Paris, 1997, pp. 53-59

58 *Richesse des emprunts à l'arabe* ***al-barqūq*** in *Bulletin de la SELEFA, n° 1,* Paris, Geuthner, 2° semestre 2002, pp.13-15

Fromentin en Algérie : Un été dans le Sahara, Une année dans le Sahel, Padova, Università degli Studi, Istituto di Lingue e letterature romanze, 1983

15 *L'espace scriptural de Tahar Ben Jelloun*, Padova, Università degli Studi di Padova, Istituto di Lingue e letterature romanze, 1983

16 *Actes du Congrès Mondial des Littératures de Langue française (Padova, 23-27 mai 1983)*, Padova, Centro Stampa, Palazzo Maldura, 1984 (en collaboration)

17 *Maghreb: panorama letterario, guida bibliografica*, Roma, CIES, 1991

18 *Albert Camus, un effet spatial algérien*, Roma, Bulzoni, 1992

19 *Albert Camus, le désir de Méditerranée*, Ancona, CLUA, 1993

20 *L'image du Maghreb dans les lettres françaises du XIXème siècle*, Ancona, CLUA, 1994.

21 *Préface et choix des textes à la Vie errante de Guy de Maupassant* («La côte italienne», «La Sicile»), Marseille, La Bibliothèque municipale de Marseille, 1995

22 *Regards sur la littérature tunisienne*, Roma, Bulzoni, 1997 (en collaboration)

23 *La Cité Méditerranéenne*, Quaderni dell'Istituto di Lingue, Università degli Studi di Ancona, (aux soins de M. El-Houssi), La Stamperia Ripe, Ancona, 1997.

24 *Pour une nouvelle pédagogie du français*, Ancona, La Stamperia, 1998.

25 *Salammbô, le désir de perfection*, Roma, Bulzoni, 1999.

26 *Regards sur la littérature marocaine de langue française* (en collaboration), Roma, Bulzoni, 2000

Les arabismes dans la langue française : du Moyen âge à nos jours, Torino-Parigi, L'Harmattan, 2001.

27 *Le français pour les étudiants en sciences économiques*, Ancona, CLUA, 2001

28 *Albert Memmi, L'aveu, le plaidoyer*, Roma, Bulzoni, 2004.

B. *Articles scientifiques :*

29 *Situations sociolinguistiques du Maghreb* in *Francia* n. 30, Napoli, Fratelli Conti Editori, Aprile-Giugno 1979, pp. 49-60.

30 *Il Marabuttismo in Tunisia* in *Quaderni di scienze antropologiche*, 4, Padova, 1980, pp. 164-196.

31 *Le récit de la voix: un essai sur le conte tunisien*, in *Il Banchetto Maghrebino*, Abano Terme, Francisci Editore, 1981, pp. 255-285.

32 *La poésie maghrébine de graphie française*, in *Le rose del deserto*, 2, Bologna, Patron, 1982, pp. 15-63.

33 *Malek Alloula*, in *Le rose del deserto 2*, Bologna, Patron, 1982, pp. 305-307.

34 *Rachid Bey*, in *Le rose del deserto*, 2, Bologna, Patron, 1982, pp. 341-344.

35 *Les dimensions de la Négritude et ses fondateurs*, in *Francia* n. 42, Napoli, Fratelli Conti Editori, Aprile-Giugno 1982, pp. 54-90.

36 *Les salutations au Maghreb, le cas tunisien : les signes et la crainte révérenciels dans la politesse*, in *Quaderni di scienze antropologiche*, 7, Padova, 1982, pp. 198-213.

37 *Une esquisse biographique de Salah Garmadi (1933-1982)*, in *Ecriture française n. 9-10*, vol. 4, 1982, Québec, Canada, pp. 52-53.

38 *Giuliana Toso Rodinis, Il teatro di Emmanuel Roblès*, in *Studi di letteratura francese*, VIII, Firenze, L.S. Olschki ed., 1982, pp. 195-198.

39 *Aperçu sur le théâtre tunisien*, in *Culture française n. 3-4*, (1983-1983), Spécial Théâtre, ADELF et Culture française, Paris, 1983, pp. 8-17.

Titres et distinctions

Grand Officier au Mérite Éducatif de la République Tunisienne.
Grand Officier de la République Italienne
Docteur Honoris Causa de l'Université de Sfax (Tunisie)
Consultant pour la Coopération interuniversitaire (Italie-Tunisie), Rattaché au cabinet du Ministre de l'Enseignement Supérieur de la République Tunisienne.
Membre du « Comité des Sages » de l'Université de Sfax (Tunisie)
Prix Spécial du « Citoyen Méditerranéen » discerné par la Région Latium à la II° Édition du Festival « Le Latium entre l'Europe et la Méditerranée »

Titres académiques et responsabilités administratives et scientifiques

1 Lauréat en Langues et Littératures Etrangères Modernes de l'Université de Padoue **(con il massimo dei voti : 110/110, la Lode e la Dicitura : "*Tesi degna di pubblicazione*").**
2 Lecteur de Langue française à l'Institut des Langues et Littératures Romanes de la Faculté des Lettres et de Philosophie de l'Université de Padoue.
3 Professeur Titulaire de la Chaire de Linguistique Française à la Faculté d'Economie de l'Université Polytechnique d'Ancône (D.M. 15-3-1990).
4
5 Directeur de l'Institut des Langues de l'Université Polytechnique d'Ancône (A.A. 1990-99, D.R., 2/12/1990).
6
7 Directeur du Centre Inter-départements des Services Linguistiques (CISeL) de l'Université d'Ancône.
8 Membre de la S.U.S.L.L.F. (Société universitaire pour les études de langue et littérature françaises)

Membre effectif du Département des Etudes Eurasiatiques de l'Université Ca' Foscari de Venise depuis le 1er novembre 2003
9 Membre de la Commission des Etudes Francophones de la S.U.S.L.L.F.
10 Membre du "Groupe National de Coordination des Recherches sur les Littératures des Pays émergents du Conseil National des Recherches Italien".
11 Membre fondateur du Groupe de recherches sur le : *Dictionnaire des mythes, personnages, figures littéraires et historiques des Littératures maghrébines de langue française,* CRI - Centre de Recherches sur l'Imaginaire, Université Stendhal, Grenoble (France)
12 Membre du Comité Scientifique et Rédacteur de la **S.E.L.E.F.A.** (**Société d'Etudes Lexicographiques & Etymologiques Françaises & Arabes**), Paris

13 Docteur Honoris Causa de l'Université de Sfax (Tunisie), 27/11/04

Publications Scientifiques de 1979 à 2006

A. Livres :

- *Pour une histoire du théâtre tunisien,* Abano Terme, Francisci Editore, 1982

14 L'image du Maghreb à travers la littérature française au XIXème siècle : Eugène

El-Houssi ne devra pas seulement une troisième langue et une autre culture universelle d'une richesse incomparable, il lui doit également son épouse, Pia Maria Rita Sauli, professeur agrégé de sciences naturelles, originaire de Sicile, sa fille et sa deuxième nationalité qu'il, acquit en 1983.

Chez Abdelmagid El-Housssi, la quête littéraire et poétique est indissociable de la quête de la connaissance et du questionnement inquiet, mais enthousiaste, des traditions culturelles dans la promiscuité desquelles il a constamment vécu et qu'il n'a cessé de *traverser* avec la même passion des mots, de la vie, et la même foi en l'intelligence des hommes et en leur générosité foncière.

La générosité et l'intelligence ne sont pas de simples possibles humains, mais les conditions intangibles de l'humain, par delà toutes les complications, tous les problèmes et tous les obstacles. Cette éthique et cette esthétique si particulières qui caractérisent l'écriture de Abdelmagid El-Houssi finissent par se constituer en une véritable vision de l'homme méditerranéen, en particulier, et de l'homme tout court, tel que le rêve et l'écrit notre poète – Professeur – romancier …

Cet homme de cœur et de science est aussi un travailleur infatigable à qui on doit dix-sept publications académiques, à Rome, Ancône, Paris Tunis,…, plus de cinquante et un articles et communications produits, présentés et publiés entre 1979 et 2006 sur ses auteurs favoris[2], sur les problèmes délicats des contacts et des influences des cultures, mais aussi sur les emprunts et les calques linguistiques dans les langues méditerranéennes, et neuf ouvrages de création poétiques et romanesques[3].

La conférence du Professeur Abdelmagid El-Houssi souligne cette complémentarité de la quête personnelle, au sens d'autobiographique, et de la quête de l'espace pluriel du dialogue transculturel et celle de la connaissance : jubilation de l'intelligence des hommes naissant à la richesse et à la complexité du monde et de la vie.

C'est ce mélange de science, et d'érudition même, de lyrisme enthousiaste et de *souci de soi et de l'autre* qui rend le mieux compte, à notre sens, de l'écriture de *Magid*, dans sa poésie si dense mais aussi dans sa narration si fluide et si intense, lui qui a su restituer au récit le souffle épique et poétique qui caractérise tout récit du *fondement*.

On comprend mieux, à la lumière de cette définition du récit, pourquoi le prix Comar qui lui a été décerné en 2000 pour son roman *Des Voix dans la traversée* lui semble plus précieux que toutes les autres distinctions qu'on a pu légitimement lui attribuer.

Pour donner une idée des efforts déployés par le Pr. Abdelmagid El-Houssi au service du dialogue et du rapprochement des cultures du Nord et du Sud, nous présentons ici une liste non exhaustive des distinctions qu'il a obtenues et des domaines dans lesquels il s'est illustré.

[2] . Flaubert, Maupassant, Nerval, Camus, Memmi, Roblès, Alloula, Amrouche, Ben jelloun, Djaout, Khatibi. Meddeb, Yacine, …On notera que presque tous auront vécu, pensé et interrogé, la traversée des cultures comme posture humaine féconde.

[3] . Voir la bibliographie des œuvres de l'auteur, à la fin de cette présentation

Abdelmagid El-Houssi ou la traversée des cultures

Mohammed Kameleddine Gaha



Invité par le ministère de la culture de la République tunisienne, le Professeur Abdelmagid El-Houssi a donné une conférence dans le belle salle de la nouvelle Bibliothèque nationale de Tunis, le 19 octobre 2007, sur un thème qui lui est cher et qui résume tout son parcours d'homme de culture et de science, mais aussi de citoyen des deux rives de la méditerranée : « Le voyage, l'autre : l'espace du dialogue et du respect en méditerranée ».

Tous ceux qui ont eu la chance de l'écouter ont pu partager sa passion du dialogue et son profond humanisme d'homme nourri des sciences et des cultures généreuses de son pays d'origine, de son pays d'adoption et du pays de sa langue de création.[1]

Né à Bou-Merdès dans le Sahel tunisien en 1941, Abdelmagid El-Houssi passera le plus clair de son enfance et de sa jeunesse à Aïn Draham et à Tabarka, villages de l'extrême Nord-Ouest, à la frontière algérienne. Ce sont les paysages du nord-ouest tunisien qui le marqueront définitivement et dont les teintes, les contrastes et les beautés contamineront son lyrisme évident, aussi bien dans ses poésies que dans ses romans.

Déjà brillant au lycée Abdelmagid El-Houssi a été sélectionné pour suivre des études supérieures d'ingénieur en France. Le conflit autour de l'évacuation de Bizerte en 1962 détourna le jeune étudiant vers Padoue, en terre italienne où il débarqua la même année.

La fraîcheur et la richesse de la langue italienne allaient aiguiser encore davantage l'intelligence du jeune étudiant qui s'ouvrit sur des auteurs rarement programmés dans les cursus de l'époque ; Dante, Boccace, Machiavel … :

> L'accès à une troisième langue, l'italien en l'occurrence, langue du séjour et de l'hospitalité, m'a fait découvrir et apprécier une histoire et une culture exceptionnelles, ainsi que les textes fondateurs de Dante, Boccace, Pétrarque, Machiavel, . .

sans pour autant le détourner de la littérature française qu'il enrichira plus tard de ses belles créations poétiques et romanesques.

Au terme de sa formation académique, Abdelmagid El-Houssi sera nommé Professeur de linguistique à la Faculté d'économie de l'université d'Ancône avant d'intégrer le Département des Etudes Eurasiatiques de l'Université Ca' Foscari de Venise, en novembre 2003. A l'Italie,

---

[1] . Presque toutes les œuvres de création de Abdelmagid El-Houssi, fictions et poésies, sont directement rédigées en français. Sa dernière œuvre publiée est un recueil poétique bilingue, en français et en italien : *Domani all'alba* – (*Le lendemain à l'aube*), La Rosa, Turin, 2006.

Hommage

Edito:

Le génie des hommes

Les hommes traversent l'espace et le temps comme une brève comète portée par le feu qui la consume et la transfigure en une incarnation spectaculaire du mouvement et du désir.
Parmi eux, certains ont le don de témoigner et de la passion qui les fait mouvoir, et de la condition qu'ils ont en partage avec d'autres hommes, d'autres comètes.
Ce sont les *hommes de parole*, les hommes de la parole, qui témoignent pour tous les autres de la beauté et de la fragilité de la condition d'humanité qui nous échoit, qui nous enveloppe, et que nous avons du mal à démêler lorsque nous sommes livrés à nous-mêmes et réduits à notre seule voix.
Ils portent jusqu'à l'incandescence le *génie des hommes*, fait de l'heureuse rencontre de la passion de la beauté, de l'intelligence de la vie et du don de soi.
Ce numéro d'*Al-Malaf* a été conçu comme un modeste hommage à l'un de ces hommes de parole que nous évoquons ici, le poète, le romancier et le Professeur Abdelmagid El-Houssi dont l'œuvre, multiple et variée, se confond avec la vie et qui a voué son existence au service de l'idée d'*homme méditerranéen*.

La rédaction remercie tous ceux qui ont bien voulu lui soumettre des textes pour ce numéro d'*Al – Malaf* et les invite à continuer à la soutenir en continuant à écrire.
Pour aider la rédaction à mieux utiliser les contributions adressées au périodique, nous prions les auteurs de joindre à la version papier de leurs textes, une version électronique et une notice biographique. L'ensemble peut être adressé à la rédaction d'*Al-Malaf*, à cette adresse électronique : **almalaf07@gmail.com**

Bonne lecture.

SOMMAIRE

AL - MASSAR

Revue de l'Union des Ecrivains Tunisiens

ALMALAF N°7

Supplément en langue française
édité par Mohamed Kameleddine GAHA

N°80

Novembre / Décembre 2007